تسبيحة الزمن

الجزء الثاني

رويدة الدعمي

(١)

في عصر يوم الإثنين طلبت تسنيم من بهاء أن يوصلها إلى مقام الإمام المهدي عليه السلام..

تفاجأ بهاء من هذا الطلب الذي جاء في غير أوانه فلقد اعتادت تسنيم الذهاب إلى المقام في يوم الجمعة فقط واليوم هو الإثنين!!

سألها بفضول :

– ولكن ألم يكن موعدنا الجمعة القادمة؟

– عندي حاجة مهمة أريد أن أدعو الله لقضاءها في ذلك المكان الشريف.

– وهل يمكنني أن أعرف تلك الحاجة؟

– لا.. أعذرني يا بهاء.. ستعرفها في وقت لاحق، والآن هل ستوصلني أم أذهب لوحدي؟

– لا.. لا! سأوصلكِ يا أميرة الحسن والجمال..

ابتسمت إبتسامة باهتة عرف بهاء من خلالها أن هناك أمرًا يُحزن قلبها ويجعلها مثقلة بالهموم هكذا..

هل كل هذا لرحيل ريان وأفنان عن المنزل؟ هل هي أيضا مثلي تعلق قلبها بتلك الطفلة وصارت مشاعر الأمومة تلح عليها أكثر من ذي قبل؟!

هكذا تساءل بهاء في حين كانت تسنيم تفكر بطالبتها مريم وبالذي يمكن أن تقدمه لها في حالتها الصعبة تلك ، وفي المقام الطاهر جلست تسنيم تذرف الدموع وهي تقرأ دعاء زمن الغيبة وزيارة آل يس ثم صلت ركعتي الزيارة وطلبت حاجتها ونذرت إلى الله تعالى إن شافى مريم من مرضها وأعاد إليها صحتها وعافيتها فإنها ستقوم بإقناع بهاء وبأي طريقة كانت ليتقدم في خطبة مريم حتى وإن تطلب الأمر أن تهدده بطلب الطلاق منه في حالة رفضهِ لطلبها..

كانت تسنيم بنذرها هذا تريد إدخال السرور على قلبيهما معًا (بهاء ومريم) فهي تعرف إن آلام مريم ستخف كثيرًا إن جمعها الله مع بهاء في

منزل واحد لتعيش معه ما بقي من حياتها، كما إنها تعلم بأن بهاء سيتأمل أن تنجب له مريم طفلا واحداً على الاقل، فهي وإن كانت مريضة لكنها قادرة على الإنجاب أما هي فالأمل في حملها يكاد يكون معدوما!

هكذا كانت تفكر تسنيم وهي تذرف الدموع متوسلةً إلى الله تعالى بحق الإمام المهدي عليه السلام أن يستجيب لها دعوتها في القريب العاجل، وأن يرزق كل من بهاء ومريم سعادة الدنيا والآخرة.

بعد مضي أسبوع واحد فقط كانت تسنيم في بيت مريم لتهنئها على خروجها من المشفى واستعادة صحتها وعافيتها، قالت الأم مع دموع الفرح :

– لم أصدق نفسي حين سمعت الطبيب يسمح لنا بالخروج وهو مبتشر بالتحسن الكبير الذي حققته مريم خلال هذا الاسبوع!

ثم اردفت وهي تمسح تلك الدموع :

وكأن ابنتي كانت تنتظر زيارتكِ لها في المشفى يا أستاذة لتتحسن بهذا الشكل السريع!

قالت تسنيم والفرحة تغمر قلبها :

– الحمد لله الذي منَّ علينا بعودة هذه الوردة الجميلة إلى الايناع والتفتح من جديد بعد أن كاد الذبول يخطف منها نضارتها وجمالها.

نظرت مريم إلى تسنيم بعين خجلة وتمتمت مع نفسها : ما أطيب قلبكِ وما أروعكِ من صديقةٍ وفيةٍ مخلصة!

استأذنت أم مريم وخرجت من غرفة الضيوف، فتسارع قلب تسنيم بالخفقان وهي تتساءل مع نفسها : هل ستفتح مريم موضوع بهاء من جديد؟ أم إنها ستتكلم في أمرٍ آخر؟!

قطعت مريم على تسنيم حيرتها بالقول :

– هل تعلمين يا أستاذة؟ بعد زيارتكِ لي وحديثنا الأخير ذلك شعرت بتحسن كبير في صحتي، وفي يوم الاثنين بالتحديد أحسست بإحساس غريب جدًا!

– ماذا؟ يوم الإثنين!!

– نعم لقد شعرت في عصر ذلك اليوم بإن العناية الإلهية صارت تتولاني بالعطف والحنان، بل وأحسست بأني قريبة أكثر من إلهي وربي عز وجل.. كما واستشعرت في ذلك اليوم قربي وحبي واشتياقي لصاحب الزمان روحي فداه حتى إنني قضيتُ ذلك اليوم بقراءة أدعية زمن الغيبة ومناجاة ولي العصر أرواحنا فداه.

حينها يا أستاذة شعرت في داخلي بأنني قد شفيت من علّتي وبأن قوتي قد عادت إليَّ وقد ذهبت عني كل آلام قلبي ومعاناته.

صارت تسنيم بعد سماعها لهذه الكلمات تردد بصوتٍ مسموع : يوم الإثنين، يوم الإثنين!!

إنه نذرها الذي نذرته في ذلك اليوم في مقام الإمام المهدي عليه السلام! فهل عليها الآن أن توفي بنذرها؟!

(٢)

عادت إلى منزلها وهي مصممة على أن تكلم زوجها عن نذرها ذلك لترى ماذا يقول وكيف ستكون ردّة فعله التي كانت تدعو من الله أن تكون إيجابية ولصالحهِ هو ومريم.

وفي أول فرصة جمعتها مع زوجها في جو هادئ ومناسب فتحت تسنيم الموضوع قائلة :

– لم تسألني عن صحة مريم كيف هي؟!

– وما شأني وشأنها! فلتكن صحتها بأي حالٍ كانت!

– عجيب! ما عرفتك هكذا يا بهاء، أنت تحمل هموم الناس جميعا، فلماذا كل هذا الجفاء مع طالبة هي من أبرز طالباتك؟

بان الضجر والاستياء على محيّاه فقام من مكانه وهو يتمتم :

– لا أحبها.. ولا أطيق سماع إسمها، هذا كل شيء.

– ولكن هل لي أن أعرف السبب من كل هذا الحقد والبغض؟!

– هكذا.. اكرهها من دون سبب.

– والله كذبت!

– ماذا؟ ومتى كذبتُ عليكِ يا تسنيم؟!

– الآن!

– وكيف عرفتِ بأنني أكذب؟

– لأن مريم أخبرتني بكل شيء.

رمى بهاء الماء من فمه بعد أن اختنق به وأغلق باب البراد بقوة وهو يلتفت مذعوراً ليسأل :

– ماذا؟ أخبرتكِ بكل شيء! يا لها من حمقاء!

لم تحتمل تسنيم أكثر من هذا فصارت تبكي وتخاطبه :

– هل لأنها أخبرتني بوفاءك وإخلاصك لي أصبحت حمقاء؟!

هل لأنها مدحتك وجعلت تكبر في عيني أكثر تصفها بهذا الوصف السيء؟ هل..

قاطعها بهاء وقد احمرت عيناه من الغضب :

– كفاكِ يا تسنيم، إنها كاذبة لا تريد إلا التفريق بيننا، لا تخدعكِ بكلماتها المعسولة!

– إنها مريضة يا بهاء، والطبيب أخبر والدتها بأن قلبها ضعيف جداً وقد تموت في أي لحظة!

تغيرت ملامح بهاء فجأة، اقترب من تسنيم وهو يسأل باهتمام : تموت بأي لحظة!

– نعم يا بهاء.. إن التفكير بك وبعلاقتها بي وتأنيب الضمير يجعلها كل هذا أكثر سوءاً ويعرض قلبها للتعب..

إن الله يريد منا أن نساعدها لذلك أرسلنا في ليلتها إلى المشفى، لم يكن مرض أفنان صدفة! بل لم يكن تأخر ريان وابنتها في بيتنا صدفةً أبدا.. صدقني.

لقد صارحتني مريم في تلك الليلة بكل شيء، وأخبرتني بأنها نادمة عندما باحت لك بحقيقة مشاعرها، وبأنها الآن تشعر بتأنيب الضمير والندم الشديد على تصرفاتها السابقة.

– الحمد لله.. والآن ما هو المطلوب مني؟

– أن تنتشل تلك الفتاة من التعاسة التي تعيشها وتحوّل حياتها إلى السعادة والهدوء.

–ماذا؟ وكيف ذلك!

– أطلب يدها للزواج.

– هل جننتِ يا تسنيم؟!

– لا.. لكني سأجنّ إذا لم تستجب لي طلبي هذا، وسأقوم بطلب الطلاق حال اصرارك على الرفض.

– أوه يا إلهي.. لقد فقدت زوجتي عقلها!
– قل ما شئت، أنت يجب أن تتزوجها..
– وإن رفضت؟
– تطلقني.
– هل هذا هو الحل؟
– إنه نذر وعليّ أن أفي بهِ وإلا عاقبني الله تعالى.
– عن أي نذرٍ تتحدثين؟
– أتذكر يوم الإثنين الماضي الذي ذهبت فيه إلى مقام الإمام المهدي عليه السلام؟
– نعم.. أذكر، كانت لديكِ حاجة مُلحّة.. صحيح؟
– نعم بالضبط.. كانت حاجتي أن يشفي ربي مريم ويعيد إليها صحتها وعافيتها، وبالمقابل نذرت إن قضى الله لي هذه الحاجة فإنني سأسعى إلى جمعكما معًا وتحت سقف واحد، وبأنني سأطلب الطلاق منك إن رفضت الزواج بها.
صاح في وجهها :
– وأي نذرٍ هذا؟! وما مصلحتكِ أنتِ في زواجنا أنا ومريم؟ لا تقولي حبكِ لنا! فهذا ليس حب.. إنه الجنون بعينه!
وضعت تسنيم يدها على رأسها وهي تقول :
– يا ويلي.. ما الذي أفعله معك حتى تصدق بأني أريد سعادتك يا بهاء؟ فوالله أن مريم ولشدة تعلقها بك ستجعلك أسعد رجل في الدنيا..
– لكنني أسعد رجل معكِ أنتِ!
– والله تكذب، لقد رأيتك كيف تتعامل مع أفنان ابنة أختي وكيف تفرح وتسعد عندما تكون تلك الطفلة بجانبك، فأي سعادة هذه التي تعيشها مع امرأة لا تستطيع أن تنجب لك الأطفال؟!
صمت بهاء وهو يتذكر ابتسامة أفنان الرائعة وصوتها الرقيق..

أكملت تسنيم بصوتٍ يقطر ألمًا وصدقا :
– أنا متأكدة لو إنك تزوجت مريم واغدقت عليها من عطفك وحنانك فإن آلامها لن تعاودها مطلقًا، وبأن صحتها ستتحسن وحينها ستتمكن من إنجاب الأطفال بإذن الله تعالى.
كان صمت بهاء المفاجئ قد شجعها على مواصلة الكلام فأردفت :
– ليكن قبولك الزواج ليس لأجل الأطفال فقط بل اعتبره عملا انسانيًا، فهذه المسكينة عانت ما عانت لأجلك، بل حتى مرضها الأخير بسببك وقد قال الطبيب بأنه مرضًا نفسيًا أكثر من كونه عضويًا!!
لقد كنت قاسيًا معها إلى أبعد الحدود وهذا ما جعلها تتألم وتقاسي، ولو أنك صارحتني منذ البداية لما وقفت عثرةً أمام زواجكما بل بالعكس فأنا من كنت ألحّ عليك منذ البداية في هذه المسألة.
نظر بهاء إلى عيني تسنيم فوجد الدموع تتلألأ فيهما، تذكر دموع أمه عندما عرفت بأن زوجها إختار أخرى! ثم خُيّل إليه أن الواقفة أمامه الآن هي تلك المرأة التي خانها زوجها ولم يراعِ فيها ظروف الوفاء والإخلاص مطلقا!

قال بصوتٍ حزين ومتقطع :
– وأنتِ؟ هل ستتحملين هذه الفكرة؟
أخشى أنني إن وافقت على مساعدة تلك الفتاة لتستعيد صحتها سأخسر صحتكِ أنتِ!
– هل تخشى أن أمرض؟
– نعم فأمي قد مرضت ثم ماتت بسبب حرقة قلبها من زواج أبي بأخرى!
– والدك تزوج بالثانية من غير سبب وجيه، وبدون إخبار والدتك، ثم إنه لم يقم بواجبه في العدل بينهما فصار يفضل تلك على زوجته الأولى! هنا من

حقها أن تتأذى المسكينة.. لكنك لن تكون كذلك أنا متأكدة، ثم إنني موافقة على زواجك الثاني بل أنا من أشجعك عليه وسأتحمل نتائجه مهما كانت.

– دعيني أفكر.

نطق بهاء بهاتين الكلمتين وهو ينظر إلى تسنيم فقد يصيبها أمرٌ ما!

لكن تسنيم كانت أقوى مما توقع زوجها، مسحت دموعها وعلت وجهها ابتسامة مشرقة وهي تردد :

– فكّر على مهلك، لكن تذكر بأنني نذرت وأمامك خيارين لا غيرهما!

خرجت تسنيم من الصالة تاركةً زوجها أمام هذين الخيارين : أما الزواج بمريم أو طلاق تسنيم!

(٣)

في الصباح وفي أثناء طريقهما إلى الجامعة تجاذب بهاء وتسنيم أطراف الحديث حول مريم ومشروع الزواج..

بدأ بهاء السؤال وهو يقود السيارة باتجاه الجامعة :

– لقد راودتني ليلة أمس الكثير من الأسئلة، فهل بإمكاني طرحها الآن؟

– نعم.. كلي آذان صاغية.

– أفكر لو أنني تمكنت من إسعاد تلك الفتاة، فهل ستتمكن هي من إسعادي؟!

– من أي ناحية؟ لم أفهم!

– أنا أخشى أن يكون التزامها بدينها والذي طرأ عليها مؤخراً ما هو إلا خدعة تحاول بها استمالتنا تجاهها!

– إتقِ الله يا بهاء، لا تسيء الظن بالفتاة أكثر من اللازم، لقد كانت دموعها تعبر عن خوفها الشديد من الله حينما حدثتني عن تأنيب الضمير والندم الذي أصابها، وعندما زرتها في بيتها آخر مرة حدثتني والدتها بأن مريم أصبحت لا تترك قراءة القرآن والادعية والأذكار اليومية..

كما أن مريم نفسها أخبرتني بأن علاقتها بالإمام الحجة عليه السلام صارت تزداد يومًا بعد يوم من خلال التفكير به وبوحدته صلوات ربي وسلامه عليه وكذلك قراءتها للأدعية التي تخصه والزيارات التي تقربنا منه عجل الله فرجه..

– إن أهم ما يخصني في شريكة الحياة أن تكون فاهمة وواعية لمسؤوليتها تجاه إمام زماننا روحي فداه، فإن قدّرها الله وأنجبت لي الأولاد حينها ستتمكن معي من تربيتهم تربية صالحة، كما تستطيع أن تزرع فيهم المفهوم الحقيقي للانتظار، فإن أملي في هذه الحياة ليس فقط أن يرزقني الله بالاولاد بل أن يكونوا من المنتظرين الصادقين والانصار المخلصين لبقية الله في أرضه.

كانت تسنيم تستمع لهذه الأمنية ودموعها تجري على خديها، فهي قد سمعتها منه سابقًا عندما كانا في بداية خطوبتهما لكنها لم تستطع أن تحققها له، ولم تكن تتخيل بأنها ستسمعها منه مرةً أخرى وهو يقصد إمرأةً غيرها في تحقيقها!

وعندما انتبه إليها مسحت دموعها بسرعة ثم قالت وكأن شيئًا لم يكن :

– أنت تعلم يا بهاء بأن مريم كانت في البداية تخشى كثيراً من فكرة ظهور الإمام المهدي عليه السلام، بل كانت تخاف أصلا من شخص الإمام المهدي نفسه!

لكنها ومنذ أن بدأت أتحدث لها عنه عليه السلام حتى صار قلبها شيئًا فشيئًا يلين وينجذب تجاهه (أرواحنا له الفداء) وعندما ستتزوجها إن شاء الله تعالى ستتمكن بنفسك أن تروي هذه الشجرة التي صارت تنمو داخل قلبها، أقصد شجرة حبها لصاحب الزمان 💚

(٤)

كانت فرحة مريم لا توصف عندما عادت تسنيم مرة أخرى لزيارتها فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تسنيم لم تضمر لمريم أي كُره أو بغض..

هكذا كانت مريم تتكلم مع نفسها ثم عادت بسمعها وفكرها نحو والدتها والضيفة الغالية لتشاركهما الكلام والأحاديث الجميلة.

قالت تسنيم وهي ترتشف الشاي :

– لقد جئت اليوم يا خالتي طالبةً يد ابنتك مريم..

صمتت تسنيم لترى تأثير كلماتها على الأم وابنتها فرأت الدهشة والحيرة واضحتين على ملامحهما، فأردفت :

– أرجو أن لا تتأثري يا مريم كثيراً، وأتمنى أن تأخذي الأمر بكل بساطة وجدية، فأي تأثير وتوتر سيؤثر سلبًا على قلبكِ..

أجابت مريم والكلمات تتقطع في فمها :

– تطلبين يدي! ولكن.. لمن؟!

– لبهاء طبعًا.

صرخت مريم في وجهها : ماذا؟ بهاء؟!!

قامت الوالدة من مكانها واتجهت نحو ابنتها لتهدأ من روعها وهي تقول :

– حبيبتي إهدأي قليلا! فقد تكون الأستاذة مازحة بكلامها ليس إلا!

أجابت تسنيم بثقة :

– لا يا خالة.. أنا لا أمزح، بهاء ارسلني لطلب يد مريم.

قالت مريم والعبرة تخنقها :

– إسمعي أستاذة.. أنا أعلم كم هو حنونٌ وطيبٌ قلبكِ، لكن أبدًا لا أقبل أن تجبري الأستاذ بهاء على شيء لا يحبذه! كما أني أعلم مدى كرهه

وبغضه لي فهو لا يطيق رؤية وجهي أو سماع صوتي.. كيف تريدين منه أن يتزوجني؟!

وقبل أن تتكلم تسنيم عادت مريم للتساؤل :

– يا إلهي. حتمًا هو الآن يتمنى أن أرفض هذا الطلب، وأنا سأكون عند حسن ظنه هذه المرة وسأرفض طلبكِ وبقوة.

– ولكن يا مريم صدقيني..

قاطعتها والدموع تغسل وجهها :

– لا أريد تصديقكِ.. حرامٌ عليكِ أن تظلمي زوجكِ بهذه الطريقة.. حرام! حرام!

وضعت مريم يدها على وجهها وصارت تبكي وتنتحب بشدة.

حاولت والدتها أن تُهدّأ من روعها واتجهت تسنيم نحوها وطبعت قُبلة رقيقة على جبينها وهي تحدثها بهدوء :

– سأترككِ الآن حبيبتي، أرجو أن تهدأي وتفكري في الأمر، وإذا شئتِ أن يأتي بهاء بنفسه ليخبركِ برغبته فسيأتي.

كفت مريم عن البكاء وامسكت بيد تسنيم وهي تتوسل إليها :

– دعي الأستاذ بهاء بحاله ولا تحمّليه أكثر من طاقته، ولا تحملي همي أبدًا فلقد نسيت كل شيء، أنا الآن انسانة أخرى، بماذا أقسم لكِ حتى تصدقي!؟

ربتت تسنيم على كتف مريم وهي تقول :

– أصدقكِ حبيبتي.. لا تقسمي!

ثم اردفت قائلة : ولولا هذا التغير الذي طرأ عليكِ لما كنت الآن هنا لأخطبكِ، بل حتى بهاء يتمنى الآن قربكِ لنفس السبب.

– وكيف درى أني تغيرت؟ من أخبرهُ؟ أنتِ!

– ومن غيري؟

– لا يا أستاذة طلبكِ مرفوض من أساسه، وأرجو أن لا تعاودي الحديث في هذا الموضوع ثانية وإلا ستكون النتيجة قطع الصداقة فيما بيننا وللابد.

– بهذه السهولة؟

– نعم.

بعد هذا الرفض الذي كان بمثابة الصدمة لتسنيم خرجت من منزل مريم وقد خيّم الحزن على قلبها..

عادت للبيت وما أن جاءت عيناها بعيني زوجها حتى طأطأت رأسها خجلا وأسرعت لغرفتها واقفلت الباب خلفها!

بقى بهاء متسمرًا في مكانه وهو لا يعرف ما الذي أصاب زوجته! هل أن مريم وأهلها قد وافقوا على الخطبة مما أدى بتسنيم إلى هذا الحزن والغيرة منذ الآن؟! لا.. هذا غير معقول!

ثم تساءل مع نفسه ثانيةً :

هل حزنها هذا بسبب رفض مريم لطلبها؟ لكن لو كان هذا هو السبب فالمفروض أن تفرح تسنيم لا أن تحزن! فهي عملت الذي عليها..!

لم يحتمل كل هذه الأسئلة التي صارت تتضارب في رأسه، اتجه نحو الغرفة وصار يطرق الباب برفق :

– افتحي تسنيم.. ارجوكِ!

ولكن ما الذي حدث حتى هجم عليكِ الحزن مرةً واحدة؟ هل مريم بحالة سيئة؟

فتحت تسنيم الباب وبنبرة خجلة قالت : آسفة يا بهاء.. لم أفلح في اقناعها!

أطلق بهاء ضحكة قوية وصار يهدأها وهو يقول :

– لا عليكِ.. هذا أفضل!

رفعت تسنيم رأسها وصارت تمسح دموعها وتردد :

– كيف افضل؟ لقد فشلت مساعينا يا بهاء.. هل تدرك ما معنى هذا؟
– وما معناه؟
– معناه أن تبقى مريم أسيرة لشجونها واحزانها، وأن تبقى أنت..
صمتت تسنيم واكمل بهاء ما أرادت قوله :
– من غير أولاد! هل هذا ما أردتِ قوله؟!
– إلى متى يا بهاء.. إلى متى ابقى أعاني من تأنيب الضمير؟ إلى متى يبقى هذا الشعور في داخلي؟ لقد صار هذا الإحساس يقتلني شيئًا فشيئًا.
– ولكن أي شعور وأي إحساس؟
– الشعور بأني المسؤولة عن حرمانك من الأولاد.
– إنه مجرد شعور صدقيني!
– بل إنه حقيقة.
– اسمعي يا تسنيم..
قاطعته تسنيم بلهجة شديدة :
– بل اسمع أنت يا بهاء، يد واحد لا تصفق، يجب أن تفكر معي في حل يجعل مريم توافق على هذا الزاوج .
– ولكن إن كانت رافضة لهذه الفكرة فكيف..
– إنها ما زالت تحبك، أنا متأكدة لكنها خائفة أن أكون أنا من اجبرتك على القبول بالزواج منها!

صاح بتهكم :
– ماذا؟ أنتِ من أجبرتِني! ولكن هل شخصيتي ضعيفة إلى هذه الدرجة في عينها!
استغلت تسنيم غضب بهاء من الفكرة فقالت :

– عليك أن تثبت لها بأنك أنت صاحب القرار ولم يجبرك أحد على خطبتها.. لا تسنيم ولا غيرها!

– وكيف أثبت لها ذلك؟ الأمر يحتاج إلى تدبير لقاء بيننا!

– سأتصل بوالدتها واقنعها على الخروج معنا إلى نزهة إحتفاءً بشفاء ابنتها.

– تقصدين أن نقوم بدعوة مريم ووالدتها؟

– نعم بالضبط حينها سأتمكن أنا من إبعاد والدتها عنكما لتصارحها أنت بالحقيقة.

تساءل وقد بدت عليه الدهشة :

– تسنيم؟

– نعم..

– خطتكِ هذه تجعلني أشك في أمرٍ ما!

– ما هو؟!

– تلك الظهيرة حينما أخذنا مريم معنا إلى المطعم.. ثم عندما تركتِنا لوحدنا بحجة ألم في معدتكِ.. هل كانت هذه خطة منكِ لتجمعي بيننا؟ ها!

– ولكن ماذا تقول؟ أقسم بالله إنك تسيء الظن بي..

صار يمازحها وهو يقول :

– أنتن معاشر النساء تجلبن الشكوك حولكن حيث (إن كيدكن عظيم)!

قطبت زوجته حاجبيها قائلة :

– ولكن من قال هذا؟

– هذا ما تم ذكره في صريح القرآن، لا تتظاهري بأنكِ لا تعرفي هذا الأمر!

– لا يا نور عيني.. أعرفه فلقد وردت هذه العبارة في سورة (يوسف) لكن هذا لا يعني إنها عِبارة صحيحة!

– ماذا.. ماذا؟ كيف انها غير صحيحة؟ لكنها وردت في القرآن!

– صحيح إنها كذلك لكنها جاءت على لسان عزيز مصر وهو يخاطب زوجته زليخا، يعني أنها وردت على لسان رجل كافر وقد وجهها لإمرأة كافرة!

ثم قالت بمزيد من التهكم : لكن أن يقولها رجل مؤمن مثلك لزوجة مؤمنة مثلي فهذا غير مقبول مطلقًا!

أحب بهاء أن يمازحها أكثر، فقال بنبرةٍ واثقة :

– ولكن هل كذب عزيز مصر؟ أوليس كيدكن عظيم؟

قالت وقد استشاطت غضبًا :

– وكيدكم أنتم معاشر الرجال؟ ألم يقل تعالى واصفًا إياكم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)؟ ها.. ما ردّك الآن!

من الأكثر صحة ويجب أن نستشهد به؟ هل هو كلام ذلك الرجل الكافر أم كلام رب العزة والجبروت؟!

ابتسم بهاء وتحولت ابتسامته بعد ثوانٍ إلى قهقهات متتالية قطعتها تسنيم بالقول :

– ولكن ما الذي يُضحكك؟

– لقد غلبتِني يا تسنيم، كلامكِ معقول جدًا وأدلّتكِ تامة.

– والآن لنعد إلى صلب الموضوع.

– لنعد..

– أرجو أن تصدقني القول يا بهاء، هل فعلا لديك رغبة بالزواج من مريم أم أنها رغبتي أنا فقط؟!

قال بهاء وهو يعتدل في جلسته :

– أخشى أن أخبرك بالحقيقة فتشعرين بالغيرة..

– وماذا يعني؟ هل غيرة المرأة على زوجها حرام؟

تكلم بهاء باسمًا :

– لقد سمعت حديثًا عن أحد المعصومين عليه السلام قال (غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان).

وضعت تسنيم كلتا يديها على رأسها وهي تردد :

– يا إلهي.. ماذا أفعل مع هذا الرجل! أنا متأكدة يا بهاء من إنك الآن أيضًا تريد أن تبعدني عن صلب الموضوع لتتهرب من الإجابة!

لا بأس سأتقبل حاليًا هذا الحديث ولن اتناقش فيه إلا بعد أن اتأكد من صحته وسنده وبأنه ليس حديثًا ضعيف السند ولا يتعارض مع القرآن وسنّة رسول الله وأهل بيته فأنت تعرف يا زوجي العزيز بأن ائمتنا عليهم السلام علمونا أن نعرض الحديث على القرآن الكريم فإن وافقهُ نقبله وإلا فلنضربه عرض الحائط! والآن.. هلا أجبت عن سؤالي؟

– في الحقيقية يا تسنيم.. نعم! لقد صارت عندي الرغبة الشديدة للارتباط بتلك الانسانة وخاصة بعد رفضها هذا، والذي يدل على أنها فعلا أصبحت إنسانة أخرى، إنسانة تفكر بعقلها لا بقلبها وعواطفها.

وهنا ولأول مرة شعرت تسنيم بالانزعاج والضجر، وشيئًا فشيئًا تحول هذا الشعور إلى حرارة تلفح كل جسمها!!

تساءلت مع نفسها وهي تبتلع ريقها بصعوبة : هل فعلا أصبحت أغار من مريم؟

تهربت من النظر إلى عينيه مباشرة بينما كان هو يتسمر ببصره نحو عينيها..

عادت للحديث مع نفسها : سبحان الله! هذه أول مرة يتحدث فيها بهاء عن مريم بهذا الشكل ويصفها بهذا الوصف الحسنِ.. هل بدأ يحبها؟

انتبهت إلى نظراته فقطبت حاجبيها قائلة :

– تابع.. أنا أسمعك!

لم يتكلم بهاء بأي شيء واستمر في التدقيق بملامحها التي تغيرت فجأة بصورة واضحة.

أعادت تسنيم طلبها بلهجة حادة : تابع يا بهاء!
– ولكن ما بكِ؟ لقد تغيرت نبرة صوتكِ وكذلك ملامح وجهكِ؟
– لا.. لا.. أعوذ بالله! هل تريد القول بأني بدأت أغار منذ الآن؟!
ضحك بهاء وهو يقول :
– أنا لم أقل شيئًا.. أنتِ من قلتِها!
ثم اردف : لكن لا بأس، جميل أن تغاري عليَّ لأنني صرت أشك في حبكِ لي، فإصراركِ على الزواج بأخرى جعلني أظن بأنكِ لا تحبينني مطلقًا، لكن الآن والحمد لله كشفتكِ على حقيقتكِ!
المهم يا نور عيني لا تخافي، سأحاول أن أقنعها فإن نجحت في ذلك فبها ونعمت، أما إن فشلت فسنكون قد أدّينا الذي علينا.. اتفقنا.
– إتفقنا.
– أما مسألة الغيرة فهذا شيء طبيعي وسأتقبله منكِ بقبول حسن، على شرط أن تحاولي محاربة هذا الشعور الذي يؤججهُ الشيطان كثيرًا لتمرير مخططاته الخبيثة.
أما إذا لم تحاربي هذا الشعور في داخلكِ فستكونين عرضةً لوساوس الشيطان وقد تؤدي تلك الوساوس بصحتكِ كما حصل مع والدتي رحمها الله.

(٥)

التقى بهاء بمريم في نفس ذلك المطعم الذي جمعهما سابقًا وياللفرق بين اللقاءين!

حيث كانت مريم في اللقاء السابق تحاول بأي طريقة أن تجذب قلب بهاء نحوها، أما اليوم فبهاء هو من عليه أن يقوم بهذا الدور لعل قلبها يلين فترضى بالارتباط به..

من سخرية القدر حقًا أن تجد نفسك تتوسل يومًا ما لمن كان يريق ماء وجهه في التوسل إليك!

هذا ما كان يُحدّث بهاء به نفسه وهو يحاول ترتيب الكلمات ليؤثر فيها على مريم لعلها تقبل به بعدما أبدته من رفضٍ شديد في قبول خطبته لها..

فبعد أن أخذت تسنيم والدة مريم معها للتنزه في حديقة ذلك المطعم تكلم بهاء قائلا :

– كيف هي صحتكِ الآن؟

– بخير يا أستاذ.

– بدون لف ودوران يا مريم.. وكما صارحتِني أنتِ قبل أشهر في رغبتكِ بالزواج بي وفي نفس هذا المكان أصارحكِ برغبتي في الزواج منكِ.. فهل أنتِ موافقة؟

– لا..

(قالتها مريم بألم وصعوبة كبيرة)

تساءل بإهتمام بالغ كان باديًا على ملامحه :

– ولكن لماذا؟

– لأنني أعرف بأن هذه ليست رغبتك، وبأنها رغبة الأستاذة تسنيم.

– وإن قلت لكِ بأنها رغبتي أنا فهل ستصدقيني؟

صمتت مريم فأردف بهاء :

– أقسم لكِ بالله بأنها رغبتي أنا.

– ولكن أين وفاءك لزوجتك وحبك لها؟
– ما زالا موجودين، لكن ظروفي تغيرت بعد أن جاءت أختها لتعيش معنا فترة من الزمن هي وطفلتها أفنان.. لقد جعلتني تلك الطفلة أفكر كثيراً في مسألة الأولاد، فأنا رجل يا مريم ومن حقي أن اتمتع بالاولاد الذين هم زينة الحياة..
– وتسنيم ؟ألا تفكر بمشاعرها؟
– إنها تعاني من تأنيب الضمير فهي غير مرتاحة مثلي تماماً، أنا ينقصني الأولاد وهي ينقصها راحة البال وراحة الضمير..
هي تشعر بأنها السبب في حرماني من تلك النعمة، لذلك زواجي الثاني سيخلصها من ذلك الشعور (القاتل) كما تصفه لي دائماً.
قالت مريم والدموع تترقرق في عينيها :
– هذا كله لأنها ابنة أصول وتخاف الله وإلا أي واحدة مكانها لن تفضل زوجها وراحته على مشاعرها وحبها له، هي تحبك وتغار عليك حتماً وتتمنى لو تبقى لها وحدها لكنها رغم هذا تفكر في مشاعرك واحتياجاتك وتنسى احتياجاتها هي!
– لذلك يا مريم علينا – أنا وأنتِ – أن نساعدها للتخلص من ذلك الشعور الذي صار يؤثر كثيراً على نفسيتها وأعصابها، فهي متوترة دائماً وغير مستقرة ما دامت ترى حالي هكذا.
– إذن تريد أن ترتبط بي لأجل الاولاد ولأجل الأستاذة تسنيم..
– بل هناك سبب آخر.
– ما هو؟
– أريد أن أعوضك عن أيام العذاب التي قاسيتها بسببي.. فلقد كنت فظًا غليظ القلب تجاهكِ.
وما كان رفضي لكِ في البداية إلا لوفائي وإخلاصي للإنسانة التي منحتني كل ثقتها ومحبتها، أما وبعد أن علمت بأن هذه رغبتها وبعد أن تغيرت

ظروفي وكذلك ظروفكِ ومن ثم فكرت بتغيرك الكبير نحو الأحسن وبما عانيتِه في تلك الفترة لأجلي صرت أتساءل بعد كل هذا : ما الذي يمنعني من الارتباط بكِ؟

كانت مريم تستمع ودموعها تجري رغمًا عنها فهي غير متأكدة هل هذا حلم أم واقع!!

قطع صمتها صوت بهاء وهو يتساءل :

والآن.. ماذا قلتِ؟ هل أعتبر سكوتكِ موافقة أم تفكير أم ماذا؟

أجابت بصوت مرتجف وقد مسحت دموعها وعادت الابتسامة شيئًا فشيئًا إلى شفتيها :

– أما عني فإني موافقة، لكن يبقى الأمر مرتبط بوالدتي وأخوالي.. فهم الذين تعبوا في تربيتي وأكيد سيكون لهم رأي في الموضوع.

– سأدعو من الله أن يوافقوا، وأن لا يقف أي أحد بوجه خطبتنا .

– إن شاء الله تعالى.

بعد أسبوع اتصلت مريم بتسنيم لتخبرها بأن الموافقة قد حصلت من قبل الجميع، استبشرت تسنيم وكذلك بهاء أما مريم فمنذ اللحظة التي حدثها فيها بهاء وأظهر لها رغبته في الزواج منها فإنها ومن تلك اللحظة نسيت آلامها جميعها وشعرت أن قلبها اليوم هو أقوى قلب وأسعد قلب وأكثر قلب يتمتع بالصحة والعافية!

مضى شهر واحد على عقد القِران ومريم متلهفة جدًا إلى أن تتحول هذه اللقاءات المتقطعة بينها وبين بهاء إلى تواصل دائم من خلال زواجهما الذي بات قريبًا جدًا، فالشقة التي اشتراها بهاء ليعيش فيها مع مريم تكاد تكتمل من حيث الترميم والأثاث، وكانت تسنيم تقضي أكثر وقتها فيها ترتب وتنظم وفي بعض الأحيان كان بهاء يجيء بمريم لتساعد تسنيم في إنهاء أعمالها.

وأخيرًا انتهى كل شيء بخصوص مراسيم الزفاف وجاء موعد الزواج، وكان بهاء قد قرر – بعد إلحاح من تسنيم– بأن يأخذ زوجته الثانية في سفرة إلى شمال البلاد حتى يكون عادلا بينهما في كل شيء فمثلما أخذها هي إلى الشمال لمدة أسبوعين في بداية زواجها كذلك عليه أن يفعل مع مريم..

وفي الليلة الأخيرة التي قضاها بهاء مع زوجته الأولى قبل زواجه بالثانية سألها بصدق :

– كيف ستقضين أيامكِ ولياليك خلال فترة سفري؟

أجابته بثقة :

– من كان مع الله كان الله معه.

– ونعم بالله، لكنكِ لم تألفي حياة الوحدة وأنا أشعر بأنه من الأفضل أن ترافقينا إلى الشمال، فهذا سيجعلني مرتاح البال وهي فرصة لتغيري من روتين حياتكِ.. ماذا قلتِ؟

– قلت كلا.

– ولكن لماذا ؟

نظرت إليه نظرة ذات معنى فعرف من خلالها بأنها لا تريد أن تكون ثقيلة على العروس الجديدة في بداية حياتها معه!

– حسنًا سأتصل بريان لتأتي وتبقى عندكِ هذه الفترة، ماذا تقولين؟

– أقول كلا!

خفض رأسه متحسرًا وهو يردد :

لا إله إلا الله!

(٦)

ابتدأت تسنيم ليلتها تلك – بعد سفر بهاء ومريم – بالمناجاة والدعاء والتضرع إلى الله بأن ينزل سكينته عليها، ثم اتجهت لجهاز الحاسوب وصارت تتصفح مواقع التواصل الاجتماعي فلم تشعر بالنعاس حتى وقت صلاة الليل!

فرشت سجادة الصلاة ووقفت بين يدي خالقها تؤدي ما الزمته على نفسها في كل ليلة، حيث أنها ومنذ أكثر من عشر سنوات لم تترك نافلة الليل إلا ما ندر..

أكملت الصلاة فقرأت بعدها دعاء الحزين كما في كل مرة ثم صارت تقرأ القرآن الكريم حتى ارتفاع آذان الفجر..

إتصل بها زوجها ليطمأن عليها وهو يعلم بإنها مستيقظة في هذا الوقت فأخبرته بأنها لم تنم أصلا فصعق من الخبر وخاصة أن زوجته من النساء اللواتي يضعن لأنفسهن نظامًا محددًا للوقت فكيف تسهر هكذا ليضيع نظامها فجأة وبهذه السهولة؟!

وعدته أن لا تفعلها مرة أخرى..

إتصل بها بعد ذلك في وقت أذان الظهر فإذا بها نائمة! قالت وهي تفتح عينيها بصعوبة :

– يشهد الله إنني اليوم وبعد صلاة الفجر قمت من السجادة ثلاث مرات لأغسل وجهي أثناء قراءة التعقيبات، فكيف لا تريدني أن أنام الآن بعد كل ذلك السهر؟!

وقبل وقت الفضيلة لصلاة الليل لليوم الثاني اتصل بها مرةً أخرى فإذا بها ما زالت مستيقظة!

قال لها بعصبية :

– ألم تنامي إلى الآن؟

– نعم!
– وتجلسين أمام الحاسوب؟
– نعم..
– تتصفحين مواقع التواصل!
– نعم
– وستبقين مستيقظة حتى صلاة الفجر ؟
– نعم بإذن الله
– وستنامين بين الطلوعين (طلوع الفجر وطلوع الشمس) هذا الوقت الذي يُكره للمؤمن أن ينام فيه!
سكوت...
– ثم سأوقظكِ بصعوبة لصلاة الظهر!
سكوت....
– ما بكِ يا تسنيم؟ أين ذهبتِ؟
– معك معك..
– هلا أقفلتِ الحاسوب واتجهتِ للنوم، حتمًا أنتِ الآن ذات عينين غائرتين من سهر الليالي..
أيقظت هذه العبارة في نفس تسنيم شعور غريب، ودّعت زوجها بعد أن قربت الهاتف من الحاسوب ليسمع بنفسه صوت إقفال الجهاز ويتأكد من قيامها، أعادت هاتفها إلى مكانه وأطلقت العِنان لأفكارها نحو الحبيب الغائب وهي تردد مع نفسها : غائر العينين!
إنها الصفة التي وصف بها رسول الله صلى الله عليه وآله حفيده الإمام المهدي (عليه السلام) بقوله : غائر العينين من سهر الليالي!
لم تشعر إلا ودموعها تغسل وجهها الملائكي، ذهبت بكل تفكيرها وكيانها نحو إمام الزمان ذلك الشريد الطريد الذي طالما سهرت الليالي تناجيه وتكلمه، ماذا يفعل الآن؟ هل يفرش سجادة صلاته ليصلي؟ هل يمسك

بالمصحف الشريف ويُرتل آيات الذكر الحكيم؟ هل هو في حالة السجود والتضرع إلى الله؟ ما الذي يمكن أن يكون حالهُ الآن؟ كم هي مشتاقة إلى تلك الأيام الخوالي قبل الزواج عندما كانت تنفرد بنفسها تخاطب إمام الزمان وتشاطره الآمه وأحزانه.

تساءلت مع نفسها : هل هذه هي الوحدة؟ كيف عانى مولاي المهدي" روحي فداه" الوحدة كل هذه السنين؟ أنا لم أتحملها ليومٍ واحد وانقلب نهاري ليل وليلي نهار! فما هو حالك يا نور عيني وأنت تجوب الصحاري والقفار؟ آهٍ يا مهدي..

هل حدث لي ما حدث حتى أعود فأذكر وحدتك؟ هل قدّر الله لي هذه الوحدة حتى أكون أقرب إليك يا إمامي؟! هل صرت الآن وحيدةً لأعرف ما معنى أن تعيش أنت وحيدا؟!

عادت إلى هاتفها وأدارت محرك البحث لتكتب : انشودة (يا مولاي) للمنشد أباذر الحلواجي..

ظهرت القصيدة وصارت تردد والدموع تجري على خديها :

كيف طويت العمر وحيداً..
خلف تخوم الغيبِ؟!
أوَما لعناءك من حدٍّ..
يوقف نزف القلبِ؟! ❣️
كيف احتملت روحك هذا..
يا خاتمة الحبِ؟!
حين احتجبت عن عالمها..
والأمر إلى الربِّ.
فاعذرنا لو صرنا دمعًا..
تواقًا للعتبِ.

***

مرغت الحرف على جرحك..

يا عاصمة الصبرِ 💚

واحتار الحبر أهل يرسل..

أشواقي أم عذري؟!

خبّأتك ما بين شغاف القلب

وبين العمرِ..

علَّ البوحِ يساقط حزنًا..

عاش عليك بصدري

***

يابن السادةِ هب لي..

من أسرار الصبرِ نصيبا

واكتب فوق عصابة رأسي

منتظرًا وحبيبا ❤️

روحي اقتربت من نصرك يا..

نصرًا بات قريبا.

مهما اغتربت تلقى وطنًا..

في عينيك رحيبا.

ما زلت لأنوارك عهدًا..

ووفاءًا ورقيبا

والجرح إذا غار بصدري..

لذت إليك طبيبا 💙

شعرت تسنيم بأن قلبها سيخرج من صدرها لُيلقي بنفسه في حضرة العشق الإلهي، ليشاطر الغائب الموعود وحدته ويواسيه ويُكفكف دموعه.

تلك الدموع التي ما هدأت يومًا، أما آن لها أن تهدأ؟
تلك العيون الغائرة والجفون الساهرة أما آن لها أن تستريح؟
آه يا صاحب الزمان..
جثت على ركبتيها ودفنت وجهها بين كفيها وبكت طويلا وهي تردد :
إليك دموعي أيها الحبيب الغائب..
إليك عبراتي أيها الوحيد الشريد..
إليك آهاتي أيها المنتظر الموعود..

إليك أحزاني يا صاحب القلب الحزين.
قامت من مكانها بصعوبة مسحت دموعها واتجهت إلى الماء لتتوضأ ثم اخذت كتاب مفاتيح الجنان وصارت تردد زيارة (آل يس)..
السلام عليك يا داعي الله وربّاني آياته..
السلام عليك يا باب الله وديّان دينه..
السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقه..
السلام عليك حين تقوم..
السلام عليك حين تقعد..
السلام عليك حين تقرأ وتبين..
السلام عليك حين تصلي وتقنت..
السلام عليك حين تركع وتسجد..
أكملت تسنيم الزيارة وشعرت براحة كبيرة بعدها وكأن الإمام المهدي عليه السلام كان يرد تحيتها بأفضل منها! كيف لا وهو الذي يُطبّق حرفيًا ما ينص عليه القرآن الكريم.. ألم يقل تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)؟!
فكيف لا يرد تحيتها وهي في هذه الحالة من التوجه والإخلاص والروحانية؟

(٧)

عادت حياة تسنيم إلى نظامها وسيرتها الأولى بعد أن قررت أن تكون ذات إرادة أقوى وأن تتأسى بصاحب الزمان عليه السلام وأن تجعل من وحدتها سببًا للتقرب أكثر من الخالق عز وجل ومن إمام زمانها من خلال زيادة خدمتها للدين والمجتمع وكذلك طاعتها لزوجها وشريك حياتها وأن لا تجعل للقنوط واليأس طريقًا إلى قلبها السليم والمفعم بالإيمان والطيبة والمحبة.

مضت الأيام وعاد بهاء من سفرته وصار يقسم وقته بين زوجتيه فليلة عند تسنيم وليلة عند مريم.

وبعد شهر من زواجه الثاني منَّ الله عليه وجاءه ذلك الخبر السعيد الذي انتظره طوال سنوات..

– مبارك عليك، زوجتك حامل!

هكذا تحدثت معه المختبرية وهي تعطيهم نتيجة التحليل..

كانت فرحة مريم بالخبر لا تقل كثيرًا عن فرحة زوجها، إلا أن أكثر من فرح وسرَّ بسماعه كانت تسنيم حيث وأخيرًا إنزاح عن كاهلها ذلك الإحساس الثقيل بالذنب تجاه زوجها!

وعندما انتهى بهاء من نقل ذلك النبأ السعيد لها رفعت بصرها نحو السماء وهي تقول : الحمد والشكر لك يا إلهي وسيدي ومولاي، لم تخيبني يا رب ولم تقطع رجائي من جميل كرمك وجزيل نعمائك.

مضت الأيام والأشهر الأولى هادئة بين الضرتين لا يعكر صفوها غير بعض تصرفات الغيرة التي تصدر من إحداهن تجاه الأخرى، وكان بهاء يحاول بكل ما أوتيَ من قوة أن يكون منصفًا عادلا بينهما..

قرر الثلاثة أن يتعاونوا في مسألة الخدمة المهدوية فكان كل من بهاء وتسنيم ينشران البحوث والمقالات عن الإمام المهدي عليه السلام فتقوم

مريم باقتصاص بعض المقاطع المؤثرة من كتاباتهما لتصمم عليها صور ومقاطع مرئية تنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي حتى صار هذا شغلهم الشاغل..

حينها لم يجلس الشيطان ليتفرج عليهم حتمًا!!

إن الشيطان وبمجرد أن يرى عائلة هادئة اجتمع أفرادها على محبة الله فسيشحذ الهمم حينها هو وجنوده على جلب الخراب لإفساد لتلك العائلة!

فكيف إن كانت العائلة مهدوية ممهدة لإمام زمانها؟ هل سيتركهم يعملون لأجل خدمة إمام الزمان والذي ستكون نهاية إبليس على يديه؟!

صار أبو مُرّة يتدخل في حياة الثلاثة ويحاول النفخ بخبث في صدر الزوجتين ليوغر نار الحقد والكره بينهما، فيبقى الزوج المؤمن صابرًا محتسبًا يهدّأ هذه ويُقنع الأخرى!!

في إحدى الأمسيات وبينما كانت مريم تنتظر زوجها حيث إنه في هذه الليلة يجب أن يكون عندها انتبهت إلى أن الوقت تأخر كثيرًا!

جاءها إبليس وجلس بقربها وصار يحدثها بذلك الحديث الخفي : زوجكِ الآن مستأنس في الجلوس مع تسنيم فلقد اشتاق إلى تلك الأيام الخوالي حيث هو وهي فقط ولا أحد ثالث في حياتهما! هل ستسكتين عن هذه الإساءة؟ ألا ترين كم هو غير عادل؟

استمرت مريم بالانصات إليه واستمر هو بالنزغ بينها وبين زوجها..

أنه يحبها أكثر منكِ حتى أنه دائمًا يناديها بكلمة حبيبتي أما أنتِ فلم يقلها لكِ ولا مرة واحدة!

لقد تزوجكِ لأجل الأولاد ليس إلا! ولا تستبعدي أن يرميكِ رمي الكلاب في الشارع ما أن تنجبي له الولد! نعم سيأخذه إليها لتربيه بنفسها لأنها حبيبته الأولى والوحيدة..

هنا سمعت مريم صوت فتح الباب فركضت باتجاه السرير ودسّت وجهها بين طيات الوسادة حتى لا يرى بهاء دموعها.

وفي الصباح التالي لم تكن مريم على بعضها أبدًا فخاطبها بالقول :
– ولكن ما خطبكِ يا مريم؟ بالله عليكِ هل كل هذا لأني تأخرت ساعة واحدة عن القدوم؟!
قالت بضجر :
– من حقك أن تتأخر، لا ألومك أبدًا فمن الصعب أن تفارق حبيبة قلبك تسنيم بسهولة!
صعق بهاء لهذه الطريقة في الكلام معه فقال بأسف :
– ألم أحذركِ سابقًا من مكائد الشيطان؟ أسمعيني ماذا قال لكِ أبو مرة ليلة أمس عندما تأخرت؟
تحدثت مريم والدموع تجري على وجنيتها بحرارة عن كل ما نفثه الشيطان في صدرها، فتأثر بهاء على كل ما شبَّ في داخلها من نار الغيرة والحسد قال لها وهو يخفف عنها ألمها :
– لقد تأخرت عند تسنيم لأن ريان أختها قد زارتنا هي وزوجها وكنت قد اشتقت كثيرًا للصغيرة أفنان ونسيت نفسي وأنا أتكلم معها وأمازحها صدقيني..
كما إنه من غير اللائق أن اتركهم بسرعة وأخرج، هذا أولا وثانيًا كيف تصدقي بكل سهولة كل ما ينفثه الشيطان في داخلكِ؟ أهذه صفة الإنسان المؤمن القوي؟ أوليس المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف؟ لماذا تجعلين كيد الشيطان قويًا بينما أنتِ من يجب أن تكوني أقوى منه لأنه ببساطة صاحب كيد ضعيف حسب قول الله تعالى في محكم كتابه الكريم (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) فانتبهي يا مريم إن كيده ضعيف ونحن البشر من نجعله قويًا حينما نستمع إليه!
في اليوم التالي تقصدت مريم في تأخير بهاء عندها لترى ما ستفعله ضرتها فهي متأكدة بأن الغيرة التي اشتعلت في قلبها ليلة أمس ستشتعل

اليوم في قلب تسنيم بعد أن يذهب الشيطان ليوغر الحقد والحسد في قلبها هي الأخرى!

كانت تأن وتصيح بحجة أن بطنها تؤلمها وهي بحاجة للذهاب إلى الطبيبة فلم يكن بيد بهاء إلا مرافقتها لعيادة الطبيبة مما سبب له التأخر كثيراً مع مريم فما كانت من تسنيم إلا أن اتصلت لتطمأن عليه فرنَّ الهاتف كثيراً ولكن دون جدوى وهنا حضر أبو مرة!
جلس بالقرب من تسنيم ودون أن تراه طبعًا او تسمع صوته صار ينفث في صدرها ما نفثه في صدر ضرتها البارحة..
حتمًا أن بهاء صار يرتاح للبقاء أكثر مع مريم كيف لا وهي زوجته الأصغر والأم الحبيبة لطفله المرتقب! وما أن يولد ذلك الطفل حتى ينساكِ يا تسنيم وقد يصبح كارهًا للمكوث عندكِ أصلا!
انتبهت تسنيم لهذا الهراء فرددت بسرعة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!
ذهبت لتتوضأ ثم قرأت المعوذتين وصارت تردد الاستغفار والصلاة على محمد وآل محمد إلى أن هرب الشيطان من بيتها.
صعد بهاء إلى سيارته والتقط الهاتف إذ كان في السيارة ولم يأخذه معه إلى العيادة فوجد أن تسنيم قد اتصلت عليه أكثر من مرة، قال وهو يتصفح سجل الهاتف : لعلها قلقة الآن، تأخرنا كثيراً ونحن ننتظر دورنا عند الطبيبة..
شعرت مريم بالنشوة فبعد قليل سيدخل بهاء منزله وسيجد أن تسنيم غاضبة ومستاءة منه بعد أن لعب الشيطان بدماغها، وسيتأكد بهاء بأنها ضعيفة أمام مكائد ابليس كزوجته الثانية تماماً!!
بعد أن أوصلها لبيت أهلها حسب طلبها لتبيت عندهم الليلة اتجه بهاء إلى منزله حيث الزوجة الأولى القلقة من تأخره..

– السلام عليكم
– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلا بهاء
– كنت قد تركت الهاتف في السيارة ونزلت مع مريم لعيادة الطبيبة.
– ماذا؟ الطبيبة! يا ساتر يا رب..
– لا تقلقي مجرد مغص معوي لكننا ظننا أن الجنين في خطر.
– الحمد لله أنه بخير، ومريم كيف هو حالها الآن؟
– هذه هي اتصلت للتو.. هل تريدين التحدث معها؟
– نعم.. نعم
فتح الخط واعطاه لتسنيم فقالت بصوتٍ يقطر حنانًا ورأفة :
– حبيبتي مريم الحمد لله على السلامة، كيف هي صحتكِ الآن؟
تفاجأت مريم من ردة فعل تسنيم على تأخر بهاء! وهي التي كانت تتوقع عند اتصالها هذا بأنها ستجد بهاء مستاءًا جدًا من أثر الشجار المرتقب!!!
في اليوم التالي طلبت تسنيم من زوجها أن يأخذها عند مريم للاطمئنان عليها، وهناك دار بينهما هذا الحديث :
– تسنيم حبيبتي عندما تأخرنا في عيادة الطبيبة، هل حدث لكِ أمر غريب؟
– مثل ماذا؟
– وسوسة شيطان مثلا!
ضحكت تسنيم من كل قلبها وهي تقول :
– ولكن بربكِ كيف عرفتِ ذلك؟
– لأنه وسوس لي قبل يوم عندما تأخر بهاء عندكِ..
– أَوه.. نعم أكملي!
– وعندما جاء بهاء لم أكلمه ونمت تلك الليلة غاضبةً عليه!
– ولكن هل حقًا هذا ما حصل؟
– نعم والله، لذلك سألتكِ إن كان قد وسوس لكِ أنتِ أيضا ليوقع بيننا..

– للأسف الشديد نعم، لكني تعوذت منه فذهبت وتوضأت وقرأت المعوذتين ودعوت الله أن يبعد عني ذلك اللعين.

– ولكن يا تسنيم كيف عرفتِ بأن تفكيرك السلبي ناحيتي أنا وبهاء ما هو إلا نتاج وسوسة الشيطان؟

– لأنه ببساطة ماكر يحب إشاعة البغضاء والضغينة بين المؤمنين والمؤمنات، ألم يحذرنا منه تعالى بالقول (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)؟

طأطأت مريم رأسها وهي تقول :

– نعم فعلا.. يجب أن أكون حذرة أكثر في المرات القادمة.

(٨)

مضت الأشهر ثقيلة على بهاء وهو ينتظر قدوم مولوده الأول..

كان بهاء يخشى أن لا تتحمل زوجته آلام الطلق والولادة فيتوقف قلبها الضعيف عن العمل فتموت..

لكنه ورغم كل هذه المخاوف كان قلبه ما يزال متعلقًا بالأمل الذي أتى من إيمانه بالله سبحانه وتعالى وبأنه عز وجل لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

ها هو موعد الولادة يقترب وها هو بهاء يقف بجانب مريم ويمسك بيدها ويضع يده الأخرى على جبينها وهو يردد آيات الذكر الحكيم ويدعو الله أن يقويها ويحفظها هي وجنينها.

كانت الآلام تتزايد ومريم تتوسل إليهم أن يأخذوها إلى المشفى فهي ما عادت تتحمل هذه الطلقات الحادة.

قالت تسنيم وهي تحاول تهدأتها :

– لا تقلقي حبيبتي سنكون في المشفى بعد أقل من نصف ساعة..

خرجت تسنيم من غرفة الولادة وهي تحمل المولود بين ذراعيها لتقدمه لبهاء وهي تقول : إنها تشبهك تمامًا.. سبحان الله!

مدَّ بهاء يديه المرتجفتين وأخذ الطفلة من تسنيم ودموعه تملأ مقلتيه وهو يردد : الحمد لله، الحمد لله.. ولكن كيف هي مريم؟!

– إنها بخير، لا تقلق أبدًا وسأدعوك للدخول حالما تخرج الطبيبة..

هاتِ الطفلة الآن لأعيدها إلى أمها وسأتركك لتفكر في إسم جميل لهذا الوجه الملائكي الرائع.

بعد عشر دقائق تقريبًا خرجت الطبيبة ودخل بهاء لرؤية مريم، حمد الله كثيرًا على سلامتها وسألها إن كانت قد إختارت إسمًا للصغيرة؟

تكلمت مريم بصعوبة رغم أن السعادة التي فيها قد أنستها آلام الطلق التي كانت تعاني منها قبل قليل :

– إسمعني يا بهاء.. أتمنى أن تقوم تسنيم بإختيار إسم المولودة فهي لم تولد إلا بفضل سعي تسنيم وببركة دعائها، ما رأيك؟

نظر إليها زوجها وهو يقول : ما أروعكِ يا مريم!

قالت وهي تشير برأسها نحو ضرتها :

– بل ما أروعها هي.. تسنيم.

ابتسمت تسنيم وهي تشاطرهما الحديث :

– لا تخجلوني أكثر من هذا.. أرجوكم!

ربتت أم مريم على كتف تسنيم قائلة :

– أنتِ فعلا كما وصفتكِ إبنتي.. إنسانة رائعة ونحن ننتظر منكِ إسمًا لهذه الطفلة الجميلة.

مدّت تسنيم يدها إلى حقيبتها الصغيرة وأخرجت منها المصحف الشريف، قبّلته وتحدثت ببعض الكلمات التي لم يسمع منها البقية غير عبارة : يا رب!

أمالت مريم برأسها نحو زوجها وهي تسأله بهمس :

– ولكن ما الذي تفعله تسنيم؟

ابتسم بهاء قائلا :

– أظنها ستختار إسم ابنتنا من القرآن الكريم.

فتحت تسنيم القرآن، دمعت عيناها وهي تقرأ قوله تعالى :

((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تجرِي مِنْ تحتِهَا الأَنْهَار كُلَّمَا رزِقُوا منْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون)).

ما أن أكملت تسنيم القراءة وقد كان الجميع يسمع ترتيلها العذب قالت :

– جنات.. أسميتها جنات.

وفي أحد الأيام الجامعية كانت تسنيم تتجاذب أطراف الحديث مع بقية الاستاذات شد انتباهها خبر نقلته إحداهن عن الأحياء الشعبية البسيطة ومعاناة من يسكنون فيها.

سألتها ببالغ الاهتمام :

– ولكن يا أستاذة، هل رأيتِ هذا الحي بنفسك أم سمعتِ عنه؟

– نعم نعم.. رأيته.

كانت تسنيم قد عملت هي وزميلاتها جمعية خيرية اسمتها (جمعية اليد الحانية) لمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين.

عادت لسؤال صديقتها :

– ولكن لماذا لم تعرف جمعيتنا بهذا الحي إلا اليوم؟ ألم نكن بإمكاننا مساعدتهم من خلال الأعمال الخيرية التي نقوم بها كل شهر؟

– نعم يا أستاذة، كان بإمكاننا مساعدتهم لو كنا نعرف مسبقًا بهم فمتى تقترحون أن نذهب لزيارتهم؟

قالت إحداهن :

– لنجمع المبلغ أولاً ثم نقوم بتلك الزيارة.

قالت تسنيم وهي تمدّ يدها إلى حقيبتها وتستخرج منها مفتاحًا صغيراً :

– سأفتح صندوق التبرعات لأرى ماذا جمعنا في هذا الشهر.

اتجهت نحو دولابها الخاص واستخرجت منه الصندوق وفتحته وبدأت بعدّ النقود ثم قالت :

– مبلغ لا بأس به.. لكننا بحاجة إلى أكثر منه بقليل.

قالت إحداهن :

– بعد اسبوع وفي وقت استلام المرتب الشهري يمكننا أن نجمع مبلغًا ممتازًا، ما رأيكن لو نقوم حينها جميعنا بزيارة ذلك الحي وتوزيع تلك الأموال عليهم؟

صاحت النسوة البقية بسعادة : مقترح رائع، موافقون.

لم تحتمل تسنيم الانتظار حتى الأسبوع القادم، فما أن خرجت من الجامعة حتى شعرت بأنها يجب أن تزور حي الفقراء اليوم بالذات!
اتصلت ببهاء واخبرته عن الأمر ثم مضت إلى ما عزمت عليه وهي تفكر في الصورة التي ستجد عليها ذلك الحي الشعبي البسيط وإلى أين يمكنها أن تتجه بالتحديد؟ هل تطرق أي باب تجده أمامها؟ أم تختار بيتًا هو أسوأ حالا من بقية البيوت؟ دعت الله في نفسها أن يسخرها لأكثر العوائل حاجةً..
وسط تلك التساؤلات والدعوات وجدت نفسها وقد دخلت ذلك الحي والذي بدأ وكأنه خلية نحل بالحركة الدؤوبة التي يتميز بها..
كان عبارة عن سوق شعبي كبير تحيط به الكثير من البيوت القديمة والتي تبدو ظاهريًا بأنها غير مسكونة لولا خروج ودخول بعض الأطفال منها وإليها ولولا قطع الملابس الرثة التي تتدلى من سطوحها وفوق جدرانها وقد عرضتها ربات البيوت إلى الشمس لعلها تتخلص من رطوبة تلك البيوت الضيقة والمتهالكة.
كلمت نفسها : هذا الحي يجب أن يُخلى من السكان ويتحول إلى مدينة أثرية ليس إلا! ولكن كيف لا تسقط هذه البيوت على ساكنيها؟ رحماك يا الله!
قطع صوت ضميرها منظر مؤلم لطفل يجلس أمام باب منزله ودموعه تتسابق في النزول لتغسل وجهه الملائكي الجميل.
اقتربت منه وانحنت عليه لتمسح تلك الدموع وهي تقول : ما بالك أيها الصغير؟ لماذا لا تلعب مع بقية الأطفال يا حبيبي؟
رفع الصغير رأسه وقام مذعورًا وهو يُبعد يدها عنه مرددًا :
– من أنتِ؟
– أنا ضيفتكم.. ولكن لم تقل لي لماذا تبكي؟

– لأني كسرت البيضة عندما ذهبت لأحضرها من تحت الدجاجة!
فعاقبتني أمي بإخراجي وغلق الباب!
– كل هذا لأجل بيضة!
– لا.. بل لأني خسرت وجبة طعامي.
– ماذا ؟ وهل وجبة طعامك بيضة؟!
– نعم!
ثم نظر إليها الطفل شزرًا وهو يقول بألم :
– حقكِ يا سيدة أن تستغربي، حتمًا إنكِ من عائلة غنية!
خجلت تسنيم من كلامه وفطنته فقالت وهي تمسح عرق وجهها :
– هل يمكنني أن أرى والدتك واتحدث معها؟
ارتبك الطفل وتعلق بعباءة تسنيم وهو يردد :
– ولكن يا سيدة ارجوكِ لا تخبريها بما تحدثنا عنه، إنها لن تقبل مساعدة من أحد!! ستغضب أمي إن علمت بأني شرحت الحال لإمرأة غنية مثلكِ!
هدّأت تسنيم من روعهِ وهي تقول :
– لا تخف يا صغيري.. سوف لن تعاقبك، أعاهدك على ذلك.
صار الصغير يطرق الباب مع تسنيم وهو يصيح بأعلى صوته :
– أماه إنها ضيفة تنتظر على الباب.. افتحي أرجوكِ.

(٩)

فتحت الباب إمرأة في منتصف الثلاثينات تقريبًا تبدو عليها علامات الوقار والصلاح، تطلعت في وجه تسنيم ثم سألت باستغراب :

– عفوًا يا سيدة هل من خدمة؟

ابتسمت تسنيم وهي تقول :

– هل لي بالدخول يا أم..

– أم إيهاب..

– تشرفنا بمعرفتكِ يا أم إيهاب ، هل تأذني لي بالدخول؟

– نعم نعم.. تفضلي.

– أختاه إسمحي للصغير بالدخول أيضًا أرجوكِ..

تعجبت أم إيهاب من معرفة الضيفة بأمر طفلها فنظرت بحدة نحو الطفل الذي اختبأ خلف عباءة تسنيم!

– حسنًا ليدخل هو أيضًا.

– أشكر لكِ ألطافكِ أخيتي.

دارت تسنيم بنظراتها السريعة بين جوانب ذلك البيت المتواضع وتساءلت باهتمام :

– هل هذا منزلكم أم إنكم مستأجرون؟

– بل مستأجرون

– أشارت المرأة لتسنيم بالجلوس، فجلست وهي ما تزال مستغربة من حال ذلك المنزل فسألت باهتمام :

– حتمًا إن المبلغ الذي تدفعوه شهريًا لصاحب الدار بسيط جدًا مع ما أراه من تردي على بناء واوضاع هذا المنزل!

– لا يا سيدتي.. المبلغ عالٍ جدًا، فالإيجار لا يعرف البناء الجديد من المتهاوي والمتهالك!

– وهل زوجكِ حالته المادية جيدة ليدفع مبلغ عالٍ لهكذا بيت!

خفضت أم إيهاب رأسها وقد ملأت دموعها مقلتيها قائلة :

– زوجي رحل إلى الرفيق الأعلى قبل سنتين، وأنا الآن المسؤولة عن دفع إيجار هذا المنزل يا سيدة.

– أنتِ!

هكذا تساءلت تسنيم بدهشة.

أجابت المرأة محاولة إخفاء عبرتها :

– نعم.. أنا.

– ولكن كيف ؟

– اعمل على بيع الخبز للناس منذ وفاة زوجي إلى يومنا هذا.

– وهل لديكِ مصدر آخر للعيش؟

– لا يا سيدة.. ولكن لماذا تكثرين من السؤال؟

صمتت تسنيم ثم اعتذرت إن كانت قد ازعجتها بكل هذه الأسئلة.

قالت أم إيهاب بحذر :

– الآن إسمحي لي أن يكون دوري في السؤال..

– تفضلي بخدمتكم.

– هل دخلتِ بيتي للمساعدة، فإن كان جوابكِ نعم فلن أقبل بهذا على الإطلاق..

– لا لا.. صدقيني أنا أحتاج من يساعدني، فكيف تظني بأني أريد مساعدتكم وأنا أحوج إلى المساعدة من أي شخصٍ آخر؟!

فغرت المرأة فاهها وهي مندهشة لما تسمعه من ضيفتها، أخيراً قالت :

– ولكن أي نوع من انواع المساعدة تبغين يا سيدة؟ وهل لمرأة ميسورة الحال مثلكِ أن تبحث عمّن يساعدها في حي فقير كحيّنا هذا؟!

ابتسمت تسنيم وهي تؤكد كلامها السابق :

– نعم هذا هو حالي.. ابحث عمن يساعدني وأرجو أن أكون قد وفقت للعثور على هذا الشخص،فأنتِ يا سيدتي أكرم من أن ترديني خائبة مكسورة الخاطر.. حتمًا أن أخلاقكِ العالية تمنعكِ من ذلك.

بعد هذا الكلام الغريب صارت تسنيم تدير ببصرها وتنتقل بنظراتها الحانية بين أولاد تلك المرأة وهي تسأل :

– ألديكِ غيرهم؟!

نظرت المرأة لتسنيم نظرة حادة وقد بان قليلا من الخوف على ملامحها متسائلة :

– قبل أن أجيبكِ، أجيبيني أنتِ :

هل أنتِ إمرأة لا تستطيع الإنجاب؟

تفاجأت تسنيم من فطنة تلك المرأة، قالت بعيون دامعة :

– وكيف عرفتِ يا أختاه؟ نعم أنا كذلك!

وما أن سمعت المرأة هذه الإجابة حتى انتفضت من مكانها مرعوبة وهي تشير نحو الباب صارخة :

– أخرجي من بيتي بسرعة.

حاولت تسنيم أن تستفهم من تلك المرأة عن سبب كل هذا الانزعاج والغضب فقالت بدهشة :

– ولكن ما الذي بدر مني سيدتي؟ بربك!

تكلمت أم إيهاب وقد بدأت دموعها تهطل أمطارًا :

– قلت لكِ أخرجي من بيتي، فلقد أخطأتِ العنوان يا سيدة.. ليس لدي أطفال للبيع!

وما أن سمع الأولاد كلمات والدتهم ولاحظوا ارتباكها حتى ركضوا نحوها وتمسكوا بثوبها وهم يصرخون : لا.. لن تأخذينا من والدتنا.. لا.. لا!

لن تتمالك تسنيم نفسها فلقد جرح هذا الموقف المؤلم قلبها ولم تجد غير الدموع لتعبر عن المها وحزنها لما تراه أمامها.. قالت في محاولة منها

لتهدئة الموقف : ولكن أقسم بالله يا سيدة بأني لم أدخل بيتكِ لهذا الغرض.. صدقيني!

هدأت المرأة قليلا عندما لاحظت دموع تسنيم.. قالت أخيرًا وهي ما تزال تمسك بأولادها الثلاثة الذين كانت قلوبهم تعربد خوفًا وقلقًا :

– والآن يا سيدة، هلا أفصحتِ عن سبب هذه الزيارة؟ وبماذا يمكنني أن أساعدك؟!!

استمرت تسنيم بالبكاء فعلمت المرأة بأنها جرحت قلبها وآلمتها بذلك الاتهام فقالت بتوسل :

– اعذريني إن سببت لكِ الألم أو الازعاج باتهامي هذا، لكن هذا ما حصل لأحد جيراننا قبل أشهر حيث جاءت امرأة مع زوجها وهما لا يستطيعان الإنجاب وعرضا على جارتي ذات الأطفال السبعة أن تبيعهم أحد أطفالها!

رفعت تسنيم رأسها وهي تمسح دموعها وتقول :

– وماذا فعلت تلك الأم المسكينة؟

– نعم مسكينة.. لقد أجبرها فقرها وفاقتها إلى بيع أصغرهم وكان عمره ستة أشهر.

– ماذا؟ وزوجها كيف وافق على هذهِ الصفقة؟

– للأسف يا سيدتي حال تلك المرأة كحالي.. هي أرملة وصاحبة أيتام ولم يكن قد مضى على وفاة زوجها إلا فترة قليلة مما أدى إلى تردي حالتها المعاشية فوافقت اخيرًا على العرض المغري الذي قدمه لها هذان الزوجان.

كانت تسنيم تستمع ودموعها لا تتوقف عن النزول لشدة ما داخَلها من الحزن والألم..

تساءلت مع نفسها : كيف يعيش هؤلاء الناس؟ وأين نحن الأتقياء عن كل ما يعانوه؟ عفوك اللهم وأتوب إليك.

شعرت تسنيم بتأنيب كبير للضمير وهي ترى وتسمع هذه القصص المحزنة، بل وصارت تشعر بأنها أحد المسؤولين عن معاناتهم هذه!

لقد كانت تعيش كل تلك الفترة بنعيم العز والغنى غافلة عن حاجات الفقراء ومآسيهم إلا ما تخرجه من مبلغ بسيط في كل شهر لتلك الجمعية الخيرية .

قطعت أم إيهاب على تسنيم أفكارها وهي تتساءل :

– إلى أين سرح فكركِ سيدتي؟

– أرجوكِ لا تناديني بالسيدة وأرجو أن ترفعي هذا التكليف بيننا وأن تناديني بـ " أختاه" فهذا أفضل وأنسب.

شعرت أم إيهاب بالارتياح لسماعها كلمات تسنيم وصارت مستعدة أكثر لسماع ما تريد أن تقوله لها هذه الضيفة المتواضعة، وأخيرًا قالت تسنيم :

لقد منَّ الله عليَّ يا أم إيهاب بزوج متدين وخلوق وهو ميسور الحال عشت معه أجمل أيام حياتي فلطالما اغدقني بالمحبة والعطف والحنان..

أظن أنني في هذه الفترة ابتعدت عن هموم مجتمعي ومعاناة الناس فيه، وغفلت كثيرًا عنهم وعن حاجاتهم، خاصة بعد أن حصلت على وظيفة للتدريس في الجامعة مع زوجي.

لقد رضيت لنفسي فقط بأن أدخل في جمعية خيرية قمنا فيها نحن استاذات الجامعة بإعالة بعض المحتاجين واكتفيت بهذا دون أن أبحث بنفسي عن حقيقة المجتمع وما يعيشه من آلام وأوجاع في ظل هذه الظروف القاسية.

– ولكن يا سيدتي.. عفوًا يا أختاه.. بماذا يمكنني أن أساعدكِ في كل هذا؟ لقد حرت في أمركِ كثيرًا صدقيني!

– لقد سمعت رواية مضمونها أن المؤمن عندما يدخل الجنة يُطلب منه أن يأخذ بيد من ساعده في الدنيا ليشفع له ويدخله معه إلى تلك الجنة الأبدية وذلك النعيم المقيم .

لذلك أنا أرجوكِ الآن يا أم إيهاب أن أكون أحد الذين ستشفعين لهم يوم القيامة.

تفاجأت المرأة من الطلب وقبل أن تجيب اردفت تسنيم :
– أنتِ ترين مدى تقصيري وغفلتي في السابق لذلك اقسم عليكِ بالله تعالى أن تساعديني في أخذ هذا المبلغ البسيط لعلني أكون من الذين ستذكريهم يوم الحساب فأدخل الجنة ببركة دعاءكِ أخية.
– لكن يا أختاه أخبرتكِ سابقًا بأني لا أقبل مساعدة أحد وقد اعتمدت على نفسي بعد اعتمادي على الله طبعًا..
– أنا لا أريد مساعدتكِ بقدر ما أريد أن أساعد نفسي!! لقد تراكمت الذنوب على ظهري نتيجة الغفلة التي كنت اعيشها، وبمقتضى مضمون الحديث الذي ذكرته لكِ فأنا الآن بحاجة إلى مساعدتكِ ولستِ أنتِ من تحتاج مساعدتي أبدا.
وأنتِ بقبولكِ هذا المبلغ المتواضع من المال ستجعليني أنام الليلة قريرة العين ومطمأنة النفس بأن هناك من سيأخذ بيدي ليدخلني معه الجنة يوم يقوم الحساب.
وأخيراً ابتسمت أم إيهاب!
مدت تسنيم يدها إلى حقيبتها وأخرجت منها مبلغ من المال وناولته لأم إيهاب التي أخذته وهي تردد :
– لن أخذلكِ أختاه بإذنه تعالى، وسأذكرك بكل خير عند ربنا الرحيم.
ثم نظرت أم إيهاب لذلك المبلغ متحدثة بدهشة :
– لكن هذا المبلغ كبير جدا يا أخية!
ابتسمت تسنيم وهي تقوم من مكانها مرددة :
– والفضل الذي ستقدميه لي كبير بل كبير جدًا غاليتي.. لا يوجد أفضل من أن يأخذ المؤمن بيد أخيه المؤمن ليدخله معه إلى نعيم الله الأبدي.

(١٠)

في إحدى الأمسيات سألت مريم زوجها وهو يضع طفلته جنات في حضنه ويلاعبها بكل محبة :

– بهاء.. لقد علق هذا السؤال في ذهني منذ لحظة إختيار تسنيم لإسم طفلتنا..

– وما هو السؤال؟ هاتِه!

– تلك الآية الشريفة التي ظهرت في القرآن وكانت تسنيم تقرأها بصوتٍ مسموع.

– لا اتذكرها بالضبط!

– أنا اتذكرها جيداً وهي قوله تعالى ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

– اهاا.. نعم تذكرتها، ما بها؟

– سؤالي بالتحديد عن قوله تعالى (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) فما الذي يقصده المؤمنون في قولهم هذا ؟

– نعم فهمت سؤالكِ، اسمعي يا أم جنات الغالية لقد قرأت قبل فترة مقالا جميلا بهذا الخصوص لأحد الباحثين المهتمين بالقضية المهدوية حيث يقول عن قوله تعالى :

{ولمن خاف مقام ربه جنتان}} سورة الرحمن آية46

– أي جنة الآخرة وجنة دولة الامام المهدي– !!

تذكر الآية وعد من الله للمؤمنين الذين يخافون مقام ربهم بجنتين، جنة الآخرة هذه هي المعروفة، لكن الجنة الثانية ما هي؟ ومتى تكون؟

عند التأمل في الآيات القرانية سنجد بعض الإشارات والذكر لهذه الجنة، ويمكن أن نفهم عدة أمور عن حقيقة هذه الجنة.

ففي قوله تعالى أعلاه يُفهم منه وتحديداً من قوله ((كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل)) يعني كل النعيم والخيرات التي يحصل عليها أهل الجنة قد رزقوا بها من قبل، وهذا ما يعني وجود جنة سابقة على جنة الآخرة .

وعندما نأتي لقوله تعالى ((وَقَالُوا الحَمْدُ للَّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)) نجد من الواضح أنها تتكلم عن جنة في الحياة الدنيا وليس عن جنة الاخرة، وخصوصا في قوله تعالى ((وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء..)) فإن ما يحدث يوم القيامة هو ليس وراثة الارض للمؤمنين، الذي يحدث هو ((يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ))!

أما وراثة المؤمنين للأرض فهو يعني أن الأرض كانت بيد غير المؤمنين ثم انتقلت الى المؤمنين، ويؤكد هذا المعنى رواية وردت في أن الإمام المهدي بعد ظهوره سيتلو هذه الأية، وهذا ما يؤكد ان هذه الجنة يرثها الامام المهدي والمؤمنين بعد الظهور، والرواية هي:

{ قال المفضل: يا سيدي فمن أين يظهر وكيف يظهر؟ قال: يا مفضل يظهر وحده ويأتي البيت وحده، ويلج الكعبة وحده، ويجن عليه الليل وحده، فإذا نامت العيون و غسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، والملائكة صفوفا فيقول له جبرئيل:

يا سيدي قولك مقبول، وأمرك جائز، فيمسح عليه السلام يده على وجهه ويقول: " الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين...}

اما متى يرث المؤمنون الأرض وتكون لهم جنة، فالقرآن أيضًا يجيبنا بقوله ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) وهذه الآية كما هو ثابت المقصود منها هو في دولة الإمام الحجة عجل الله فرجه.

إذاً، ففي دولة الإمام الحجة سيرث المؤمنون الأرض وتكون لهم جنة يتبوؤا منها حيث يشاؤوا، وهي أيضاً الجنة الأولى التي وعد الله بها عباده المؤمنون.

وأيضًا يؤيده ما جاء في الكثير من الروايات التي تتحدث عن النعيم الذي يكون في دولة الإمام عجل الله فرجه من انعدام الأمراض، وغنى وثراء الناس وانتفاء الفقر نهائياً، وانتشار الأمن بشكل كامل بحيث تسير المرأة من العراق للشام بدون محرم، ولا تضع رجلها إلا على خضار، إضافة للتقدم والتطور والازدهار العلمي منقطع النظير الذي سيكون في دولة الامام عجل الله فرجه، حيث أن كل ما توصلت له البشرية هو حرفان فقط من العلم، والإمام سيظهر معها ٢٥ حرفا، ولكِ أن تتخيلي التطور العلمي الذي سيحدث!

قالت مريم بتعجب :

– لكن الذي انتشر بين الناس اليوم فكرة مفادها أن كل هذه التكنلوجيا ستنتهي في عصر الظهور ولن يكون بإمكاننا التواصل مع الجميع، ستنقطع الأخبار وستعود الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل التطور العلمي واكتشاف وسائل التواصل!!

هزَّ بهاء رأسه أسفًا وهو يتحسر على كل ما يسمع من زوجته، قال بأسف :

– ولكن هل تصدقين هذا الهراء؟!

ابتسمت مريم وهي تلاحظ تأثر زوجها قائلة :

– لا أعلم حقًا!! هذا ما يقولوه!

– إنها الاسرائيليات الدخيلة على ديننا ومذهبنا يا مريم ، فأعداء صاحب الزمان روحي فداه يحاولون بشتى الطرق إخافة الناس وبث الخوف فيهم من مسألة ظهور الإمام فيصورونه بأنه سيأتي للقضاء على العلم والتطور والتكنولوجيا!!

في حين أن الروايات التي وصلتنا عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن أهل البيت عليهم السلام تحكي لنا عن عصر الظهور عكس هذا تماماً!

– كيف.. أخبرني بربك؟

– ألم تسمعي أنه في عصره عجل الله فرجه سيرى من هو في المشرق أخاه الذي في المغرب؟ وبأنه حين يظهر ويلقي خطبته سيرونه حتى الذين هم خلف الجبال والبحار والوديان؟ ألم تقرأي بأنه في عصر ظهوره سيتمكن الإنسان من معرفة الأخبار عن طريق النظر الى كف اليد!!

– حقيقة لم أسمع، لكنها واضحة تمام الوضوح في أنها تنطبق على الوضع الحالي وما وصل إليه العالم من تطور وتكنولوجيا حتى صار رغم أطرافه المترامية وكأنه قرية صغيرة يمكن للذي في مشرق العالم أن يرى ويتحدث مع الذي في مغربه عن طريق الإنترنت! كما وإن الإمام المهدي عليه السلام إذا ظهر في هذه الفترة فعلاً سيراه الذي خلف الجبال والبحار والوديان عن طريق البث المباشر! كما أن بإمكاننا اليوم أن نعرف جميع الأخبار من كف اليد عند تصفحنا للمواقع الالكترونية عن طريق الهواتف النقالة!!

– والآن هل سيأتي الإمام للقضاء على التكنلوجيا أم إن التكنلوجيا وما وصلنا إليه اليوم من تطور كله سيكون في خدمة المهدي المنتظر؟!

– نعم فعلا، وأظن أن الرسول وأهل البيت عليهم السلام لم يتكلموا بالتفاصيل وكانت أحاديثهم مجرد إشارات عن هذا التطور تبعًا لقاعدة (حدث الناس على قدر عقولهم).

– أحسنتِ يا غالية..

إن هذه الروايات جميعها موجودة في الكتب التي تتكلم عن عصر الظهور، وسأجلبها لكِ لتقرأيها فهي موجودة في مكتبتنا عند تسنيم..

– بالمناسبة يا بهاء.. ما هي الكتب المهمة التي إن اطلعت عليها سيكون عندي معلومات وفيرة عن الإمام المهدي عليه السلام كما هي المعلومات عندك وعند تسنيم؟

– هناك الموسوعة المهدوية، عصر الظهور، يوم الخلاص في ظل القائم، وهناك أيضا الإمام المهدي من المهد إلى الظهور وغيرها الكثير الكثير.. جربي أن تقرأي أحد هذه الكتب على الأقل.

– نعم قرأت الكتاب الأخير الذي ذكرته، فقد أعطتني إياه تسنيم في بداية صداقتنا.

(١١)

مضت السنوات وها هي جنات تكمل التاسعة من عمرها وقد رزق الله بهاء ومريم بأخٍ لها أسمياهُ (علي) وها هما يتهيئان لاستقبال الطفل الثالث..

أما تسنيم فلقد كانت تقضي جلّ وقتها بعد الجامعة في حي الفقراء الذي زارته لأول مرة قبل ثماني سنواتٍ خلت.

لقد قررت أن تهب مشاعر الامومة الملتهبة في داخلها إلى كل هؤلاء المحتاجين بدلا من أن تختزلها في طفلٍ واحد!

وكانت كلما ساعدت شخصًا أو عائلة تحمد الله أن سخرها لهم وتستشعر مدى النعمة التي هي فيها الآن حيث ليس لديها مسؤوليات كبيرة في البيت فلا أولاد يجبرونها على المكوث لديهم طول الوقت، ولا زوج متشدد معها خاصة أنه يوم يمكث في بيتها ويوم في البيت الآخر حتى صارت تستأنس لحالها هذا وتردد برضا وتسليم (يقينًا كله خير)

زادت العلاقة بينها وبين أم إيهاب وصار كل همها أن تبني لتلك المرأة وأيتامها الثلاثة بيتًا بسيطًا ومريحًا يأويهم ويخلصهم من ذل الإيجار وصعوبته..

قالت لبهاء في إحدى الأمسيات :

– لدي أمنية وأتمنى من زوجي العزيز أن يساعدني في تحقيقها.

– خير إن شاء الله؟

– إنها بخصوص أم إيهاب.. في بالي أن أساعدها في بناء منزل بسيط.

– لله درك يا غالية، نعم اكملي.

– حتمًا سمعت بخبر قطع الأراضي التي تنوي الدولة بيعها بأسعار مناسبة لنا نحن أساتذة الجامعات..

– نعم سمعت

– أريد شراء قطعة من تلك القطع لأهبها لتلك الانسانة المجاهدة..

– لأم إيهاب؟
– نعم ومن غيرها!
– وهل تظنين بأني سأعارض؟
– لا طبعًا.. أعلم بأنك ستوافق على طلبي.
قال بلهجة صارمة :
– لا يا حبيبتي لم تحزري! قد لا تعرفين بهاء حتى الآن..
صدم هذا الكلام تسنيم واتسعت حدقتا عينيها الجميلتين وهي تحدق بقلق في ملامح زوجها الذي بدى غريبًا بعض الشيء..
عاد للحديث وما زال الانزعاج باديًا عليه :
– كيف إلى الآن لم تعرفي طبعي؟ كيف!
– ولكن ما الذي سنخسره إن ساعدنا تلك المرأة؟ ثم متى كنت تحاسبني على المال وأين سأصرفه!
اعتدل في جلسته وحاول أن يبدو أكثر حدة وهو يقول :
– أنا لن أوافق على شراء تلك الأرض لها فقط بل سأقوم بإعانتكِ في بناءها بكل ما أوتيت من قوة.
ثم أطلق ضحكةً عالية وهو يمازح زوجته بالقول :
– ما بكِ تجمدتِ في مكانك؟ منذ متى أرفض لكِ طلبًا بالله عليكِ؟
صمتت تسنيم لكن دموعها لم تصمت فانطقلت من بين اجفانها صارخةً معاتبة!
قالت أخيرًا وهي تمسح دموعها وتبتسم :
– سامحك الله يا بهاء لقد كاد قلبي أن يقف...
– الهذه الدرجة يهمكِ أمر تلك المرأة؟
– ليس أمرها فقط ، بل أمرك أيضًا.. فلقد صدمني موقفك وخلت للحظة إنك لست زوجي الذي اعرفه حق المعرفة!
– سامحكِ الله يا تسنيم، كيف هكذا ولمجرد كلمة اسأتِ الظن بي؟

– لم تكن كلمة! ملامح وجهك كلها كانت تقول بأنك تغيرت!
– حاولت التمثيل لأرى ردة فعلكِ لا أكثر، ولأني أحببت ممازحتكِ أيضًا.
– جميل أن يمازح الرجل زوجته لكن ليس جميلُ أبدًا أن يكسر قلبها ويجمد الدم في عروقها هكذا!
صمت فجأة وغير ملامحه إلى الحدة مرةً أخرى وقد قال بعصبية :
– مثلما توقعت، أنتِ إلى الآن لا تعرفيني فتصدقين مباشرة كل ما أفعله ولو بالمزاح! هل هذه فِعال الزوجة الصالحة، تسيئين الظن بزوجكِ المؤمن بكل هذه السرعة؟!
لم تحتمل تسنيم كل هذا التمثيل فقامت ورمت الوسادة عليه بقوة وهي تصرخ :
– كفاك مزاحًا أرجوك، أي رجلٍ أنت! أليس في قلبك ذرة رحمة! اترك المزاح واخبرني هل فعلا ستساعدني في بناء ذلك المنزل؟
قال وهو يرمي الوسادة باتجاهها ويعود لتقشير تفاحته :
– نعم والله سأفعل هذا.. ما بكِ لا تصدقين؟ هل مزحت معكِ يومًا!!!
قالت وهي تنظر إليه شزرًا :
– لا لم تمزح معي مرتين قبل قليل.. على الإطلاق!
ضحك الاثنان وتعاهدا على مساعدة أولئك الأيتام بكل ما رزقهم الله به من حنانٍ ورحمةٍ وقوة.

(١٢)

إتصل بهاء بتسنيم وهو يحثها على القدوم بسرعة إلى المشفى..

قالت وقد صار قلبها ينبض بقوة :

– هل حالتها خطرة لا سمح الله؟

جاءها صوت بهاء باكيًا :

– لقد أخبرني الطبيب بأنه علينا إنقاذ أحدهما أما الطفل وأما مريم ولا مجال أن يعيشا معًا ، فتوسلت إليه أن ينقذها هي.. يا إلهي ماذا أفعل؟ تعالي بسرعة أرجوكِ يا تسنيم أنا محتاج لشخص يمسكني حتى لا أقع فقدماي لم تعودا قادرتين على الوقوف!

كانت تسنيم تستمع بدهشة لزوجها وهو يبكي.. فهي وللمرة الأولى تسمع فيها صوت بكائه!

ركبت سيارتها واتجهت مباشرة إلى ذلك المشفى..

دخلت فوجدت بهاء يجلس في صالة الانتظار وقد تورمت عيناه من البكاء!

اتجهت نحوه، وضعت يدها على كتفه وسألته بارتباك :

– ما الذي حدث بربك؟

هنا زاد نحيب بهاء ضامًا وجهه بين كفيه، قال بصعوبة :

– لقد كتبت ليلة أمس وصيتها، طلبت أن لا يفتحها أحد غيركِ يا تسنيم، أدّت صلاة الليل بصعوبة وكنت أسمع صوت أنينها وأوجاعها.. آه عليكِ يا مريم.. آه.

بكت تسنيم هي الأخرى، ثم خاطبت زوجها محاولةً زرع القوة في داخله..

– لكن ما هذا الضعف الذي أنت فيه الآن؟ أي انهيار هذا وأي استسلام؟ لماذا تدع الشيطان يبث اليأس في داخلك؟ إن ما يكتبه الله لنا علينا قبوله مهما كان وفي نفس الوقت يجب أن لا نيأس ولا نترك الدعاء.. إنه لطيف بعباده ويعرف مصلحتنا أكثر منا، إن كان يجب أن نجتاز ما يختبرنا به فيجب أن نجتازه بقوة وشجاعة ورِضا.. فأين أنت من كل هذا؟

صمت بهاء، مسح دموعه.. قام من مكانه وهو يردد : أستغفر الله وأتوب إليه وأسأله اللطف والرضا.

هنا خرجت الطبيبة من صالة العمليات ولم تكن علامات وجهها تبشر بخير!

اقتربت من بهاء وهي تقول :

– عملنا الذي علينا يا أستاذ ، طبيب القلب أيضًا لم يقصر في شيء.. تستطيع الدخول لرؤية طفلتك الآن.

قال بترقب :

– وزوجتي؟

خفضت رأسها وهي تتمتم : ساعدك الله على فقدها.

شعر بهاء بقوة تسنده من الخلف، لم يكن مصدر تلك القوة تسنيم.. لأنها ركضت إلى الغرفة ما إن سمعت كلام الطبيبة، فما كان مصدرها؟

قال مردداً وبثقة كبيرة : إنا لله وإنا إليه راجعون.. لن أعترض على حكمك يا الله لكني أسألك الرحمة والمغفرة لزوجتي وأن تعوضها عن كل آلامها بجنةٍ عرضها السماوات والأرض فإنها كانت نِعم الزوجة لي ونِعم الأم الصالحة لأولادي ، كما وأسألك أن تلطف بحالي وحال أطفالي من بعدها.

مشى نحو الصالة بخطواتٍ ثقيلة وهو يسمع بكاء تسنيم ونحيبها، دخل فوجدها ترمي بنفسها على جثمان مريم وهي تردد : حبيبتي وأختي.. آهٍ عليكِ.. آه!

لم يتمالك نفسه عاد للبكاء هو الآخر محاولا رفع تسنيم عن جثمان مريم لكنها كانت ترفض ذلك!

قال لها معاتبًا : ولكن.. ألم تتكلمي معي قبل قليل عن القوة والرضا بقضاء الله وقدره؟!

قالت له الممرضة : اتركها يا أخي، الظاهر إن علاقتها بها قوية جدا.. هل هي أختها؟

لم يستطع بهاء الإجابة فلقد خنقته العبرة..
أجابت الطبيبة بدلا منه وهي تهمس في أذن الممرضة :
– إنها ضرتها، فالمرحومة هي الزوجة الثانية للأستاذ بهاء، أما هذه التي أمامكِ فهي زوجته الأولى..
فغرت الممرضة فاهها متعجبة مما ترى وتسمع! فكيف نشأت هذه العلاقة القوية بين الضرتين؟!
قطع على تسنيم بكائها صوت رقيق لامس شغاف قلبها..
التفتت وهي تردد بلهفة :
– إنها تبكي.. الطفلة، الطفلة!
وفي مكان بعيد عن جثمان الأم كانت ترقد تلك الطفلة الصغيرة، ركضت تسنيم نحوها..
– آه.. حبيبتي!
لا تبكي طفلتي الحبيبة، تعالي إليَّ يا غالية، إنظر يا بهاء ما أجملها سبحان الخالق!
أخذ بهاء ابنته بين يديه، قرَّب فمه من أذنها الصغيرة وفعل معها كما فعل بطفليه السابقين ..
أذنَّ بصوته الشجي في أذنها اليمنى وأقام في اليسرى ثم ناولها لتسنيم قائلا :
– ستكونين أنتِ أمها يا تسنيم، قربيها إليكِ وضميها لتشعر بحنانكِ أكثر.. لتعتاد عليكِ منذ الآن.
أخذت تسنيم الطفلة وضمتها إلى صدرها وهي تقول : سأكون لها كأمها إن شاء الله.
ثم أخذت الطفلة عند أمها وهي تردد ودموعها لا تترك عينيها :
– نامي قريرة العين يا مريم، طفلتكِ أمانة في رقبتي.. بل أطفالكِ جميعهم أمانة في رقبتي إلى آخر لحظة من حياتي.. أعدكِ يا أختاه.

(١٣)

خرج بهاء ليكمل إجراءات استلام جثمان زوجته، تبعته الممرضة وهي تشعر بأن الفضول سيقتلها، نادت خلفه ليقف، شعرت بالخجل من موقفها لكنها تشجعت بالقول :

– أستاذ بهاء.. من فضلك!

توقف بهاء ونظر إليها فخفضت تلك الفتاة عينيها خجلاً من الدموع التي تلألأت في عينيه ..

قالت أخيرًا :

– أعتذر عن فضولي يا أستاذ، لكن قد لا أراك بعد اليوم فأتمنى أن تجيبني عن تساؤلاتي بخصوص زوجتيك!

قال بهاء مندهشًا :

– نعم تفضلي.. لكن استعجلي رجاءًا ..!

– نعم.. نعم بالتأكيد، سؤالي هل فعلا أن زوجتك الراحلة هي الثانية أم أن الطبيبة متوهمة؟!

– لا ليست متوهمة، كلامها صحيح.

– والسيدة تسنيم هي الأولى؟

– نعم

– ولكن يا أستاذ وأعتذر على فضولي.. أنا أراكما متحابين كثيرًا حتى إنني لم أرَ في حياتي زوجين أكثر توافقًا منكما!

– نعم فعلا مثلما وصفتِنا .. هذه هي الحقيقة.

– إن كانت هذه هي الحقيقة يا أستاذ، فلماذا تزوجت بالمرحومة مريم؟!

فهم بهاء سبب فضول الممرضة فعذرها في سرهِ على ذلك ثم أجاب :

– إن هذه كانت رغبة زوجتي، أقصد أنني تزوجت بالثانية حسب رغبة الأولى.

– ولكن لماذا رغبت هي بذلك؟

– لأنها لا تستطيع الإنجاب.. فاختارت لي صديقتها المقربة لعل الله يرزقني منها بالذرية الصالحة .
شكرت المرضة بهاء على حسن أخلاقه معها لكنها لم تتوقف عند هذا الحد بل عادت لتسنيم لتلقي عليها المزيد مما في جعبتها من أسئلة!
ثم وبعد أن لاحظت الأخلاق العالية لتسنيم وسعة قلبها قررت أن تساعدها ما استطاعت، فأخذت منها الطفلة وحاولت أن تهدأها مما فسح المجال لتسنيم من الاتجاه نحو جثمان صديقتها لتجلس بقربها وتبدأ بقراءة سورة (يس) التي حفظتها عن ظهر قلب، ثم طلبت من المرضة أن تساعدها في العثور على كتاب مفاتيح الجنان فركضت تلك الفتاة لجلبهِ من إحدى زميلاتها المرضات، قرأت تسنيم دعاء العديلة وزيارة عاشوراء عند رأس صديقتها وسلمت على صاحب الزمان عليه السلام وهي تقول له :
– أعلم إنك كنت في جانبها ساعة خروج روحها لأنها كانت من شيعتكم المحبين يا مولاي وأنت الكريم ابن الكرام كما هو جدك رسول الله وآبائك الطاهرين حين يزورون محبيهم ساعة الاحتضار وعروج الروح لخالقها.
ثم نظرت لمريم الراقدة بسلامٍ أمامها وتكلمت معها بدموع الشوق واللهفة والانتظار..
– هنيئًا لكِ يا أختاه إذ رأيتِ إمام الزمان، حتمًا إن فرحتكِ بلقاءه أنستكِ الآم الاحتضار ومشاعر الخوف من الموت، حتمًا جمال طلعته البهية جعلتكِ تنسين الدنيا وما فيها، ذلك الجمال الذي يأخذ بالألباب، كيف لا وهو يوسف آل محمد! كيف لا وقد وصفه جده الرسول بطاووس أهل الجنة!
كانت مريم قد تركت رسالة لتسنيم قُبيل وفاتها بيوم واحد وطلبت من بهاء أن يسلمها لها بعد رحيلها إلى عالم الملكوت..
فتحت تسنيم الرسالة بأنامل مرتجفة وصارت تقرأ بدموع بللت الرسالة منذ الأسطر الأولى!

بسم الله الرحمن الرحيم..
حبيبتي وصديقتي وأختي تسنيم :
أكتب لكِ هذه الرسالة التي ستقرأينها حين أكون أنا بجوار الرفيق الأعلى..
أوصيكِ يا أخيتي خيرًا بأولادي رغم أنني أعلم جيدًا بأنكِ أهل لتربيتهم تربيةً صالحة، لكنني أحببت تذكيركِ بأنهم مشاغبون بعض الأحيان وبأنهم قد يسببون لكِ الكثير من المتاعب وخاصة الصغير (علي) وأذيته ناشئة من كونه ما يزال طفلا ليس إلا!
أما جنات وأختها التي في بطني (إن صدق السونار بأنها بنت) فأنا مطمئنة كامل الاطمئنان إلى أنكِ ستملئين قلبيهما بالحياء والعفة والطهر وحب الحجاب والعباءة.. هنيئًا لأولادي بأمٍ مثلكِ.
لا أريد أن أطيل عليكِ أخية.. فقط أحببت أن أوصيكِ بأولادي وأن تعتبريهم أولادكِ أنتِ وبهاء وتنسين أمر مريم التي طرأت على حياتكما فجأة.
قومي بتربيتهم كما يمليه عليكِ ضميركِ فأنا كُلي ثقة بكِ غاليتي، لكن ارجوكِ رجاء الأم التي ستفارق أبناءها إلى الأبد أن لا تصرخي في وجوههم أو تضربيهم إن اساءوا الأدب يومًا فهم أيتامًا مكسور فؤادهم .. دعي هذا هذا الأمر لأبيهم، فأنا لا أريدهم أن يكرهوكِ أو يحقدوا عليكِ.. أعلم بأنكِ إن صرختِ عليهم أو ضربتِهم فهذا لمصلحتهم ولخوفكِ عليهم لكني أخشى أنا يأخذوا الأمر بأنكِ تفعلين كل ذلك معهم فقط لأنكِ زوجة أبيهم!
أما إن عاملتِهم باللطف دائمًا فسيحبوكِ حتى أكثر مني .. صدقيني.
لم تقصري معي في شيء لا أنتِ ولا بهاء فجزاكما الله كل خير، حاولتما إسعادي وتخفيف مرضي حتى نسيت لسنواتٍ طويلة أني مريضة بمرضٍ خطير!

وفي نهاية الرسالة كتبت مريم عبارة جعلت تسنيم تجهش بالبكاء أكثر من أي وقت..

حيث كتبت بحروف تركت آثار الدموع واضحةً عليها عبارة (يا صاحب الزمان أدركني ولا تتركني) 💔

كانت مريم تريد أن تكمل رسالتها بشكر تسنيم على كل ما قدمته لها من تضحيات، وأرادت أن تشكرها على ما اوقدته في قلبها من محبة لولي الله الاعظم (عجل الله فرجه الشريف) بعد أن كانت تخشى سماع إسمه!

أرادت أن تكتب لها أشياءً كثيرة كانت تسنيم هي السبب في إيجادها في قلب مريم لكن الآلام التي كانت تضرب بقلبها بل وجميع بدنها جعلتها تتوقف عن الكتابة وتكتفي بكتابة هذه العبارة في نهاية رسالتها مخاطبةً للحبيب الغائب بأن لا يتركها في لحظات حياتها الأخيرة.

قبّلت تسنيم الرسالة وضمّتها إلى قلبها وهي تردد : لديَّ كامل الثقة بأن إمامنا الحجة روحي فداه لم يتركِ وكان معكِ في تلك اللحظات الرهيبة، حتمًا خففّ عنكِ هول ساعات الموت لأنكِ وثقتِ بهِ كثيرا 💙

(١٤)

كانت الليلة الأولى هي أصعب الليالي التي يعيشها أبناء مريم بعيداً عن أمهم..

كان بكاء جنات وعلي وجدتهم يزداد كلما زاد بكاء الصغيرة (هبة الرحمن) والتي كانت تتضور جوعًا وهي تبحث عن الحليب..

بكت تسنيم أيضًا لبكاء الصغيرة وهي تحاول أن تسكتها لكن دون جدوى.

قال بهاء مخاطبًا أم مريم :

– أرجوكِ يا خالتي توقفي عن البكاء وحاولي أن تهدأي من روع الصغار جنات وعلي..

وأنتِ يا تسنيم امسحي دموعكِ وسأذهب حالا لأجلب حليب اطفال مع رضّاعة زجاجية من اقرب صيدلية، فلا يمكن أن تبقى الطفلة تصرخ هكذا!

قالت الجدة : لكن يا بني حاولنا أن نعطِها ماءًا وسكرًا كما ترى فلن تأخذه، فهل ستأخذ الحليب!

– يا خالة.. ماء وسكر! وفي الملعقة! يجب أن تشرب الحليب لتشبع وتنام.

– لكن يا ولدي الحليب الصناعي قد يؤذي صحتها منذ اليوم الاول لها!

– أوه يا خالتي.. بربكِ هل اترك الطفلة تموت من شدة البكاء؟!

– حسنٌ حسنٌ.. افعل ما يحلو لك.

قالت الجدة كلامها هذا وهي تسحب حفيديها معها لتخرجهما إلى صالة الجلوس.

نظرت تسنيم بعتب إلى بهاء وهي تلومه بالقول :

– سامحك الله يا أبا علي لو كنت أكثر لطفًا معها.. لا تنسَ بأنها قد فقدت ابنتها اليوم!

أجابها زوجها بأسف :

– وهل يعني هذا أن أفقد إبنتي أنا أيضا؟!

خرج من الغرفة وهو يردد الحوقلة والاستغفار، بعد عشر دقائق عاد ومعه الحليب والرضّاعة الصغيرة..

وبعد ربع ساعة فقط كانت الصغيرة قد نامت بين يدي تسنيم وقد شربت الحليب بالكامل!

صلى الثلاثة صلاة الوحشة لمريم وقرأوا لها سورًا من القرآن الكريم ولم يأكل أي أحد شيئًا من طعام العشاء ما عدا الصغيرين اللذين كانا جائعين جدًا، غفى علي بين يدي جدته فأخذته لسريره، أما جنات فلقد شعرت تسنيم بأنها لن تستطع النوم بسهولة هذه الليلة فاتجهت نحو سريرها وكان حدسها في محله!

مدّت تسنيم يدها نحو رأس جنات وصارت تمسح على شعرها بحنانٍ ورفق..

نهضت جنات مرعوبة وهي تردد : أمي أمي!!

ولما كان الضوء في الغرفة خافت جدًا سألت جنات بصوت مختنق : هل أنتِ أمي؟

مدت تسنيم يدها وأمسكت بيد جنات وهي تحضنها وتقول : سأكون أمكِ منذ اليوم يا حبيبتي.

بكت جنات وهي تحضن تسنيم قائلة :

– هل يعني هذا إنني لن أرَها بعد اليوم؟!

صمتت تسنيم وقد صارت العبرة في حنجرتها كالجمرة، رفعت جنات رأسها من حضن زوجة أبيها ثم صارت تصرخ بأعلى صوتها : لماذا لا تجيبين؟ لماذا يجب أن لا أرى أمي بعد اليوم؟ لماذا أنتِ من ستكونين أمي؟ لماذا ليست هي؟! لماذا..؟ أنا لا أحبكِ مثلما أحبها، هي أمي الحقيقية ولا أريد غيرها.

حاولت تسنيم أن تهدأ الصغيرة بالقول :

– أنا لا ألومكِ يا جنات فأنا أيضًا فقدت والدتي منذ سنوات! أنا مثلكِ يا جنات ليس لديَ أم.. ألا تواسينني يا حبيبتي؟

صمتت جنات وقد لمحت دموع تسنيم فقالت بأدب :

– أعتذر جدًا.. ولكن!

– لكن ماذا ياحبيبتي؟

– أنا أكره الموت.. فهو الذي أخذ مني أمي، كما أخذ منكِ أمكِ..

ثم عادت للبكاء، فما كان من تسنيم إلا الإستمرار في محاولة تهدأتها..

– إن أمكِ الآن في دارها الجميلة التي أعدها لها الله تعالى.

صمتت جنات ولم تبادل تسنيم أي كلمة فاستمرت الأخيرة بالكلام وهي متيقنة بأن جنات تنصت لها الآن :

– إن الموت يا حبيبة قلبي لا يعني أن عمر الإنسان قد انتهى كما تتصورين الآن! فأمكِ يا جنات قد انتقلت من دارٍ قبيحة إلى دارٍ جميلة بل ورائعة..

استغربت جنات من هذه الكلمات فرفعت رأسها من الوسادة وهي تمسح دموعها قائلة :

– لكن ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ هل دارنا قبيحة!

ابتسمت تسنيم وهي تجيبها :

– لا يا حبيبتي لم اقصد داركم على الإطلاق! فالدار القبيحة هي هذه (الدنيا)..

– ماذا؟ الدنيا!

– نعم يا بُنيتي.. فلقد وصف إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام هذه الدنيا بالسجن حينما قال (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).

– أما الآخرة..

قاطعتها جنات بالقول :

–أعتقد بأني أعرف ما تريدين وصفه بها..

– ماذا؟

– هي على عكس الدنيا تمامًا.. فالآخرة سجن الكافر وجنة المؤمن 🌿

– أحسنتِ يا جنات.. ما أسعدني بكِ يا قرة عيني!

ابتسمت جنات لأول مرة بعد وفاة أمها وشعرت بالفرح وكأنها صنعت إنجازًا كبيرًا.

(١٥)

عادت جنات للتساؤل :

– ولكن لماذا الدنيا سجن المؤمن؟

– لأن الله أعدَّ لنا الراحة الأبدية في الآخرة يا حبيبتي وما الدنيا إلا دار بلاء واختبار وفتنة!

قال تعالى :

(أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا ثم لا يُفتنون)؟

وعندما ينجح المؤمن في إختباره سيختار الله له الراحة الأبدية ليخلصه من سجن الدنيا الذي كان مليء بالهموم والمشاكل والابتلاءات كالفقر أو المرض أو ما شابه.

– إذن حدّثيني عن إنتقال الإنسان المؤمن من هذا السجن إلى تلك الجنة..

– إن الموت يا جنات ما هو إلا قنطرة أو جسر يعبر عليه المؤمن من هذه الحياة الدنيا إلى تلك الحياة المليئة باللذات والنِعم الخالدة التي لا انقطاع لها ولا زوال.. فهل يكره الإنسان أن ينتقل من السجن إلى القصر؟!

ابتسمت جنات للمرة الثانية وقالت :

– لا طبعًا، بل ما أروع ذلك!

حمدت تسنيم الله كثيرًا في سرها إذ استعادت جنات هدوءها ثم استمرت بالحديث معها :

– لقد وصفت الأحاديث الشريفة حالة المؤمن ساعة الانتقال من دار الدنيا إلى الدار الآخرة كخلع ثياب قذرة وفك قيود واغلال ثقيلة واستبدالها بأفخر الثياب وأجملها وأطيب الروائح وأزكاها.

– لكن يا ماما تسنيم.. لماذا نحن لا نحب الموت ونخاف منه إن كان هذا حاله؟!

– ولكن هل أنتِ الآن بعد سماعكِ كل هذا ما زلتِ تخافين من الموت؟

– هل تريدين الحقيقة؟ أنا كنت أكره الموت لكن بعد أن ماتت أمي وبعدما سمعته منكِ فلقد صرت احبه لأرى أمي اولا ولأرى نعيم الله ثانيًا.. ولكن!

– هل ما زالت هناك لكن!

– نعم فأنا ما زلت أخشى ملك الموت قابض الأرواح والذي وصفته لي صديقتي في المدرسة بأن له منظر مرعب جدًا فهل هذا صحيح؟!

– هذا صحيح إن كان الإنسان كافرًا يا حبيبتي، أما الإنسان المؤمن فإنه يرى ملك الموت في أجمل صورة، ويفرح لرؤية هذا الوجه الحسن لكن وما أن يعلم بأنه ملك الموت حتى يجزع ويحزن فيقول له ملك الموت : لا تجزع! فوالله لأنا أبرُّ بك وأشفق من والدٍ رحيمٍ لو حضرك.

– وماذا يقصد بهذا الكلام؟

– يقصد بأنه سيكون معه رقيقًا ولطيفًا كما هو الأب الرحيم مع ولده، ولن يؤذيه حين يقبض روحه بل ستخرج روحه من جسده بكل سهولة كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله كخروج الشعرة من العجين وحتى لا يدري المؤمن هل مات أم ما زال حيًا!!

– الله! الهذهِ الدرجة؟!

– نعم يا حبيبتي، إذ إن الله تعالى يمحو كل الذنوب عن عبادهِ المؤمنين من خلال ابتلاءهم في الدنيا بشتى الابتلاءات التي تذهب بذنوبهم فيطهرهم بها ويزكيهم حتى عندما يأتي أجلهم يكونوا خالين من الذنوب والخطايا تمامًا ويعودوا كما ولدتهم أمهاتهم.. أنقياءً من كل سوء.

– إذن الله يبتلينا لمصلحتنا وليس لأذيتنا وعذابنا!

– نعم يا ابنتي..

– ونار جهنم ليست للمؤمنين أبدًا لأنهم وإن كانت لديهم ذنوب ومعاصي قليلة فسيمحوها الله لهم من خلال صبرهم على البلايا والمصائب.

– أحسنتِ.. أحسنتِ

– إنها فقط للمعاندين والكافرين وأصحاب الذنوب الكبيرة والعظيمة.

ابتسمت تسنيم وقد أبهرتها فطنة جنات وذكائها :
– نعم بالضبط يا حبيبة قلبي.
– ماما تسنيم.. لم أعد أخشى من الموت ، صرت أحبه وأحب الله كثيراً لأنه لطيفٌ بنا ويحبنا لدرجةٍ كبيرة.
في صباح اليوم الثاني فتحت تسنيم بيتها لاستقبال المعزيات وجاءت أخوات مريم من مناطق سكناهما وكذلك ريان أخت تسنيم بعد سماعهن الخبر الأليم..
أما بهاء فكان يستقبل المعزين في الجامع الكبير التابع لمدينتهم.
كان علي الصغير يبكي كثيراً وهو يبحث عن وجه أمهِ بين النساء.. لماذا لا يراها؟
كانت جدته وكذلك خالاته يحاولن إسكاته لكن ما من فائدة! فهو ما زال صغيراً على فهم حقيقة الموت فكيف يُفهمونه بأن أمه قد رحلت للأبد؟!!
نظر إلى تسنيم وهي موشحة بالسواد، ركض نحوها بعد أن يأس من جدته وخالاته اللواتي لا يقبلن أن يقلن له أين أمه ولماذا لا يراها؟!
صاح وهو يرتمي في حضن تسنيم ويبكي بشدة :
– ماما تسنيم.. أين هي ماما مريم؟!
ارتفع صوت النساء الحاضرات بالبكاء والنحيب، قامت تسنيم من مكانها بعد أن شعرت بأن قلبها سيتفطر من الألم، أمسكت الصغير من يده بهدوء واتجهت به نحو غرفتها، وهناك بدأت بالكلام معه وهي تمسح دموعه :
– حبيبي علي ماما مريم الآن في الجنة.
جاءها صوته يدمي القلب : ولماذا تركتني ورحلت لوحدها؟
– إسمع يا علي.. إن هدأت وتوقفت عندك البكاء فسأفتح لكم جهاز الحاسوب لتلعب فيه العاباً جميلة.. ما رأيك؟

– سأتوقف عن البكاء لكن بشرط : أن تخبريني متى أذهب لرؤية امي في الجنة؟

– ستتمكن من رؤيتها حينما يأذن الله بذلك.

– ومتى يأذن الله؟

أجابته تسنيم وهي تحاول أن تصل لمستواه العمري :

– إننا حينما نكون أناساً مهذبين ومؤدبين فإن الله سيحبنا ويدخلنا إلى الجنة.

صمت علي فجأة وهو يمسح دموعه :

– من اليوم سأكون ولداً مهذباً.. هيا افتحي لي حاسوبكِ لألعب.

– هذا هو الحاسوب تحت أمرك، وسأذهب للمطبخ وأحضر لك طعام الغداء.

جلس الصغير يلعب حتى جاءته تسنيم بالطعام فأكل ثم أخذته ليغسل فمه وأسنانه وعادت به إلى غرفتها، استلقت بجانبه تسرد له الحكايات الجميلة حتى استسلم للنوم.

غطته تسنيم بهدوء وتركته نائماً على سريرها واستعدت لترك الغرفة بعد أن اطمأنت على نوم الصغيرة هبة أيضا.. لكنها تفاجأت بدخول الجدة مع حفيدتها جنات.

(١٦)

قالت تسنيم وقد وجهت كلامها لأم مريم :

– عفواً خالتي.. هل تم تقديم طعام الغداء للمعزيات؟

– نعم يا ابنتي.

تحدثت جنات وهي ما زالت ممسكة بجدتها :

– كيف سكت أخي علي يا ماما؟

– لقد اقنعته إن أصبح مهذبًا ولطيفًا سيحبه الله ويدخله الجنة مع ماما مريم، وبأننا جميعًا إن أصبحنا كذلك فسيجعلنا الله من الذين يدخلون الجنة.

صاحت جنات بفرحٍ غامر : الله يا ماما.. كلامكِ جميل!

تكلمت الجدة والدموع تملأ مقلتيها :

– ما أروعكِ يا تسنيم ، هنيئًا لمريم إذ تركت أولادها في رعايتكِ يا ابنتي.

– استغفر الله يا خالة، إنها تركتهم في رعاية الله وحفظه فهو الذي يرحم عباده ويعطف عليهم أكثر من أي شخصٍ آخر.

عادت جنات للحديث :

– لقد طلبت من جدتي أن تتكلم لي عن الجنة لكنها أبدت عدم رغبتها في الحديث، وقالت لي أن أطلب منكِ هذا الطلب.

– حسنٌ يا حبيبتي .. سأتكلم لكِ عنها لكن ليس الآن، فمن غير اللائق أن أترك الضيوف كل هذه المدة .

وفي المساء جلست تسنيم مع جنات وعلي وجدتهما وصارت تحدثهم عن الجنة وصفاتها قائلة :

– لقد ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وآله صفات الجنة في حديثه عنها بعد رجوعه من رحلة الإسراء والمعراج..

سأل علي : وما هذه الرحلة؟

– إنها قصة طويلة تحكي لنا كيف صعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء قبل موتهِ ليرى في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر!

قالت جنات بلهفة : احكيها لنا ارجوكِ.

– إنها طويلة مثلما قلت لكم لكني أعدكم بأني سأشتري لكم قريبًا بإذن الله تعالى كتاب (الإسراء والمعراج) والذي قرأته منذ كنت صغيرة فتشوقت حينها كثيرًا لدخول الجنة..

سألت الجدة :

– الا تتذكرين من ذلك الكتاب شيئًا؟

– بلى يا خالة أتذكر بعض الأحاديث التي حفظتها عن ظهر قلب ومنها هذا الحديث :

(إن أنهار الجنة تجري في غير اخدود، أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر مسكٌ وأذفر، وحصاهُ الدر والياقوت... تجري عيونه وانهاره حيث يشتهي ويريد في جنانهِ وليّ الله، فلو أضاف من في الدنيا من الجن والإنس لأوسعهم

طعامًا وشرابًا وحللا وحليًّا لا ينقصه من ذلك شيء!)

اردفت تسنيم

وهي توجه كلامها للصغار :

– هل فهمتم من هذا الحديث شيئًا؟

قالت جنات :

– الذي فهمته ان هناك نهرًا في الجنة أشد بياضًا من الثلج وله طعم أطيب من العسل!

ابتسمت تسنيم قائلة :

– نعم بالفعل.. كما أن هذا النهر يا جنات وأنت يا علي يكون في جنة ولي الله (اي في جنة كل مؤمن يوجد هكذا نهر) ولو أن هذا الإنسان المؤمن

دعا الجن والإنس ليشربوا من هذا النهر ويأخذوا منه الدر والياقوت ليتزينوا بها لما نقص من هذا النهر شيئًا على الإطلاق.

رددت الجدة وبعدها حفيديها : سبحان الله!

قالت الجدة بحزن :

– لقد سمعت ليلة أمس عندما كنا نبيت في منزل ابنتي مريم كلامكِ أنتِ وجنات فلقد كنت مستيقظة حينها.

صاحت جنات وشاركتها تسنيم تلك الدهشة :

– هل فعلا كنتِ مستيقظة؟!

– نعم كنت كذلك، وكم كان حديثكِ حلوًا ومشوقًا!

وأتمنى الآن أن اسألكِ يا ابنتي عن حال مريم رحمها الله.. هل تظنين بأن الله قد غفر لها ذنوبها السابقة عندما كانت غير ملتزمة جيدًا بالحجاب؟!

– لقد تغيرت مريم يا خالتي ما إن علمت بشروط الحجاب الصحيح، وهذا يعني إنها قد أعلنت توبتها و(التائب من الذنب كمن لا ذنب له) كما جاء في الحديث الشريف.

كما إنها كانت ملتزمة بصلاتها وصيامها وتكره الغش والخداع والكذب، لا تسمع الغناء ولا تحب الغيبة او النميمة..

شاركتهما جنات ببراءة الطفولة وعقل الكبار بالقول :

– نعم لقد قالت لي أمي بأن الذي يريد أن يرضى الله عنه وكذلك يرضى عنه صاحب الزمان يجب أن يكون ملتزمًا بصلاته وصيامه، وأن لا يستمع للغناء ولا يشاهد الأفلام والمسلسلات الهابطة، كما قالت لي بأني يجب أن التزم بحجابي فهو هوية المرأة المسلمة.

ومجمل القول أنها كانت تحب الله ورسوله وأهل بيته وتطيعهم في كل صغيرة وكبيرة..

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

(ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).
جلست أم مريم ارضًا واسندت ظهرها إلى الحائط وصارت تبكي بشدة فجلست تسنيم بجانبها وصارت تربت على يدها برفق وتقول :
– لا تخافي عليها يا خالة لقد رأت مريم ساعة موتها رسول الله وإمامنا علي بن أبي طالب وباقي أهل الكساء والإمام الحجة عليهم جميعًا سلام الله..
رفعت المرأة العجوز رأسها وهي تسأل بدهشة :
– وكيف عرفتِ ذلك يا ابنتي؟
– لأنهم يحضرون عند كل مؤمن موالي ومحب لهم، يأتوه ليبشروه بالجنة وبرضوان الله تعالى، وليخففوا عنه تلك الساعة العصيبة.

إسمعي ما تقول أحاديث أئمتنا في ذلك :
يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لمسمع بن عبد الملك البصري وكان من شيعته: يا مسمع أما أنك سترى – عند موتك – حضور آبائي لك، ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها .
وقال الإمام الصادق عليه السلام : وينادِيه منادٍ من بطنان العرش يُسمعه ويُسمع مَن بحضرته، "أي الذين حضروا قبض روحه من النبي(صلى الله عليه و آله) وأهل بيته والملائكة" (يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي)
ثم قال الإمام الصادق (عليه السلام) ثم يُنزل بكفنه من الجنة وحنوطه من الجنة بمسكٍ أذفر، فيكفّن بذلك الكفن، ويُحنّط بذلك الحنوط، ثم يكسى حلةً صفراء من حلل الجنة، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها، ثم يفتح له عن أمامه مسيرة شهر

وعن يمينه وعن يساره، ثم يقال له: نم نومة العروس في فراشها، ابشر بروَحٍ وريحانٍ وجنةٍ ونعيم، وربٍّ غير غضبان، ثم يزور آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً.

قالت أم مريم بعيونٍ دامعة :

– بشّركِ الله بالخير يا تسنيم، الآن إرتاح قلبي والله.

سألت جنات بفضول واهتمام بالغين :

– ما معنى زمرًا زمرا.. يا ماما؟

– معناها أن المؤمنين الذين يرغبون في العودة إلى الحياة مع قائم آل محمد سيبعثهم الله من جديد ليروا بأم أعينهم دولة العدل الإلهي وسيكون عددهم كبيرًا جدًا حتى يصفهم الإمام الصادق عليه السلام بالزمر أي الجماعات.. وهو ما يسمى بالرجعة.

قالت جنات بفرح :

– وأمي كانت من المتشوقين لرؤية الإمام الحجة عليه السلام وكانت تقرأ في كل صباح دعاء العهد حتى تكون من الذين يرجعون في زمن الإمام المهدي عليه السلام.. هي قالت لي ذلك عندما سألتها عن فائدة دعاء العهد!

قالت الجدة :

– سؤالي الأخير ولو أننا أثقلنا عليكِ يا ابنتي..

– بالعكس يا خالة صدقيني، الكلام معكم لا يمل.

– هل ذكر القرآن الكريم شيئًا عن حضور الرسول وأهل البيت عند المؤمن المحتضرِ ليبشروه بالجنة؟

– نعم يا خالة فلقد فسر لنا أهل البيت عليهم السلام عبارة (لهم البشرى في الحياة الدنيا) بأنها بشارة من الرسول والائمة الميامين للمؤمن في حياته الأخيرة بأنه فاز بالرضوان والجنة وهو في قوله تعالى :
(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

(١٧)

انتشر خبر وفاة الزوجة الثانية للأستاذ بهاء وكان أغلب الأساتذة يعرفونها شخصيًا كونها كانت طالبة جامعية لديهم منذ سنوات، وفي إحدى الجلسات التي تجمع بهاء مع زميله الأستاذ عمار سأل الأخير قائلا :

– كيف يعيش أبناءك الآن مع الأستاذة تسنيم؟

لم يستغرب بهاء هذا السؤال فقد تصوره سؤالا عاديًا :

– بخير والحمد لله.

– أقصد ألا يسببون لها المشاكل؟

– إنهم مؤذون بعض الشيء وخاصة علي لكن تسنيم عاقلة وتعرف كيف تستميل الصغار إليها فضلا عن الكبار!

ابتسم عمار بحزن وهو يهمّ بالقول :

– فعلاً إن الأستاذة تسنيم لها القدرة على استمالة قلوب الجميع إليها.. أما زوجتي!

قال بهاء بدهشة :

– خير ان شاء الله؟ ما بها زوجتك؟

اخذ عمار نفسًا عميقًا ثم أطلقه بحسرةٍ طويلة..

– ما بك يا أخي؟ لقد اقلقني أمرك!

أجاب عمار وقد بدى الهم واضحًا على تقاسيم وجهه المتعب :

– أنت تعلم يا أبا علي بأن زوجتي الأولى قد انتقلت للرفيق الأعلى قبل أعوامٍ ثلاث.

– نعم نعم.. رحمها الله تعالى.

بعدها بأشهرٍ قليلة تزوجت بالثانية بعد أن رأيت حاجة أطفالي لأمٍ ترعاهم وتلبي احتياجاتهم.

– وهذا هو المطلوب.. أكمِل!

– لكني وبعد الزواج بفترةٍ وجيزة ندمت أشد الندم وتمنيت لو أنني بقيت أرعاهم بنفسي

– ولكن لماذا يا أخي؟

– لقد بدأت زوجتي تغار من أطفالي، ولشدة حبها لي كانت لا تطيق رؤيتهم حولي! فأرى دموعها وهي تنظر إليهم وفي بعض الأحيان تتركنا وتتجه لغرفتها وعندما أباغتها في الدخول للغرفة أجدها تبكي بحرقة!

ضرب بهاء كفًا بكف وهو يردد الحوقلة والاستغفار..

– نعم يا صاحبي، فبدلا من أن تخف معاناتي بزواجي صارت تلك المعاناة ضعفين!

– والآن بعد مرور ثلاث سنوات؟!

– صار الأمر أسوء.. صدقني.

– لا!

– لقد صارت تعامل أطفالي بقسوة وتحرمهم من رؤيتي أو الجلوس بقربي، وعندما أكلمها تقول : ليس بيدي، لا احتمل أن يشاطرني فيك أحد آخر.

شعر بهاء بأن أعصابه ستنفجر، قال بغضب :

– ولكن كيف تسمح لها بالتحدث هكذا؟ ثم عندما تزوجتك ألم تكن تعلم بأن لديك أطفال من زوجتك الأولى؟!

– بلى تعلم ذلك بكل تأكيد.

– إسمع يا أخي.. لو أن شعورها هذا لم يؤثر على أحدٍ غيرها لما كان الأمر يستدعي التدخل، لكن عندما تقول لي بأن مزاجها السيء والمستمر صار يؤثر على الأولاد وعلى علاقتهم معك بحيث إنها لا تدعهم يجالسوك أو يتكلموا معك بحرية فهذا ما لا يطاق أبدا..!

قال عمار خافضًا رأسه حانيًا ظهره كمن حمل هموم الدنيا كلها على كتفيه :

– لذلك أنا اليوم أتحدث معك بمشكلتي، أردت أن أعرف كيف تتعامل زوجتك مع أطفالك الأيتام؟ وهل تشعر بالغيرة منهم كزوجتي؟!

اتسعت حدقتا عيني بهاء وسأل بدهشة :

– وهل يجب أن تغار زوجتي من أطفالي؟ أقصد هل يجب على كل زوجات الآباء أن يتعاملن مع أبناء أزواجهن كما تتعامل زوجتك مع أولادك يا أخي؟!

– لا طبعًا.. لكني توقعت أنها تحبك كثيرًا وسيدفعها حبها هذا للغيرة من الأولاد فهم في النهاية ليسوا أولادها! وحتمًا إن مشاعر النساء متشابهة كثيرًا يا أبا علي.

ـــ إسمع يا أبا لبنى، لا تحاول إقناعي بأن زوجتك تحبك كثيرًا لذلك هي تتصرف هكذا مع اطفالك!

إسمح لي أن أقول لك بأنها تحب نفسها أكثر مما تحبك، لذلك فتصرفها هذا نابع من أنانيتها المفرطة ولو كانت تحبك فعلا لفكرت في راحتك وراحة أطفالك ولداست على المشاعر التي يؤججها الشيطان داخلها.. هل فهمت؟

قال عمار وكأنه كان ينتظر كل حرف من هذا الكلام :

– أنا أفكر في هذا أيضًا، لكن أخبرني بربك ماذا أفعل معها؟ هل أخبرها بهذه النتيجة؟

– أي نتيجة؟!!

– بأنها أنانية وتحب نفسها أكثر مني؟

– يالعاطفتك يا أخي ألا ترى بأنك رومانسي أكثر من اللازم؟!!

خجل عمار وأراد أن يقوم لولا أن بهاء أمسكهُ من ذراعهِ وأعاده إلى مكانه قائلا :

– آسف إن أزعجتك بكلامي، لكن تذكر بأنك الرجل وبأنك صاحب القرار في المنزل من غير ظلم ولا إجحاف ، اترك العاطفة جانبًا فإنها من شأن النساء ولا تليق بالرجال دائمًا!

كن حازمًا معها يا أخي لأجل أولادك فليس لهم الآن إلا الله وأنت! عيونهم عليك أنت لا غيرك!

كل منهم قد كُسِرَ أحد جناحيه فصار يقاوم الحياة بجناحٍ واحد..

فكيف إن كان هذا الجناح أيضًا غير قادر على حمله في مواجهة مصاعب الحياة؟!

ثم ما ذنب هؤلاء المساكين أن تحرمهم هذه المرأة منك ومن عاطفتك وحنانك.. ها؟ ما ذنبهم.. أخبرني!

هل ذنبهم أن أمهم قد ماتت ويجب أن يقنعوا بكل ما تفعله زوجة أبيهم معهم حتى لو كانت ظالمة؟!

قال عمار بحذر :

– وبماذا أنت ناصحي يا أبا علي.. هل أطلقها؟

– لا لم أقل ذلك معاذ الله، فالطلاق من أبغض الحلال إلى الله، ولن أسامح نفسي بل لن يسامحني الله إن كنت ممن يفرق بين المرء وزوجته هكذا!

– إذن بماذا تنصحني؟

– كلّمها وإنصحها وإن لم ينفع ذلك معها هددّها بتركها (مجرد تهديد) لا أظن حينها ستبقى على وضعها الحالي سواء معك أو مع الأولاد صدقني.

أجاب عمار كمن أصابه اليأس :

– لقد جربت كل هذا، وعندما قلت لها سأطلقكِ لا تتوقع ماذا قالت!

– ماذا؟

– قالت بأنها تريد ذلك أيضًا لأنها لم تعد تتحمل رؤية أولادي معي في نفس البيت! وبأنها كانت تنتظرهم ليكبروا قليلا حتى تستطيع أن تستقل بنفسها عنهم في بيت صغير يجمعها لوحدها معي!

تأففّ بهاء واستغرق في التفكير فهو لا يريد أن ينصح صديقه بطلاق تلك المرأة،صار يتوسل بصاحب الزمان عليه السلام في داخلهِ لعلّه يرشده إلى حلٍ صحيح لهذه المشكلة.. صار يردد من كل قلبه (أدركنا يا صاحب الزمان)

بعد لحظات قصيرة من الصمت قال بهاء فجأة :

– إسمع يا أخي.. ما رأيك أن تأتي أنت وزوجتك لزيارتنا؟ ولن أُخبرَ تسنيم عن سبب الزيارة، لترى زوجتك بأم عينها كيف تتعامل زوجتي مع أولادي الثلاث..!؟

قال عمار وقد انفتحت أساريره :

– خطة رائعة، سنكون عندكم مساء الغد بإذن ربي.

لم يُخبر بهاء زوجته بسبب الزيارة مثلما وعد صديقه غير أنه قال مازحًا :

– أظنهم يريدون خطبة إحدى بناتنا لولدهم (باقر) ذو الأربع سنوات!

ابتسمت تسنيم وأعربت عن سرورها لهذه الزيارة قائلة :

– لتكن زيارة تعارف بين العائلتين فقد تكون زوجة الأستاذ عمار إنسانة أريحية بحيث سنندمج أنا وهي من خلال تقارب الأفكار.

قال بهاء في سره : لا أظن ذلك!

في تمام الساعة السابعة مساءً حضر عمار مع زوجته وحلا ضيوفًا على عائلة الأستاذ بهاء الذي استقبلهما أجمل إستقبال، كما وخرجت الأستاذة تسنيم بعباءتها لتلقي عليهما التحية وتدعو ضيفتها لتدخل معها إلى صالة الجلوس حيث تأخذا راحتيهما بعيدًا عن مجلس الرجال.

كان عمار قد أخبر زوجته بأن الأستاذ بهاء له أولاد من زوجته المتوفاة وبأن تسنيم ليس لديها أولاد أصلا، فملأ الفضول قلبها لتعرف كيف هي العلاقة بين هذه المرأة وبين أولاد زوجها..

لذلك أول ما بادرت به هذه الضيفة هو سؤالها الذي وجهته لتسنيم عن الأولاد!

أجابت تسنيم بإبتسامة جميلة :

– هم في غرفتهم سأناديهم حالا.

تركت تسنيم غرفة الجلوس وبعد خمسة دقائق تقريبًا عادت وهي تحمل هبة بين ذراعيها وخلفها مباشرةً كل من جنات وعلى وكانوا في أجمل منظر وأحلى صورة ..

جلست وهي تضع الطفلة في حضنها ثم أشارت نحو جنات بالقول :

– إنها جنات ابنتي الحبيبة وهي أكبر أولادنا.

ثم أشارت لعلي قائلة : وهذا علي ولدي المدلل وقرة عين أبويه.

ثم نظرت للصغيرة هبة قائلة : وهذه الهبة (هبة الرحمن) التي وهبنا بها الله تعالى قبل أشهرٍ قليلة.

فغرت الضيفة فاهها ولم تجد جوابًا لكل ما صار يدور في ذهنها من تساؤلات فضولية!

صارت تراقب تصرفات تسنيم مع الأطفال فتأكدت – حسب رؤيتها – بأنهم أولادها هي وليسوا أولاد ضرتها كما أخبرها عمار!

صارت تتوعده في سرها بصفعة قوية لتطلب بعدها الطلاق على كل ما قام به من الضحك عليها!

عادت للحديث مع تسنيم بالقول :

– كلهم آيات في الجمال والوداعة، هنيئًا لكِ بهم وأدعو الله أن يرزقني ولو بواحدٍ أتسلى معه في وحدتي هذه.

قالت تسنيم بدهشة : لكن أبا علي أخبرني بأن لديكم أولاد واحدهم إسمه باقر!

هزت الضيفة رأسها بالنفي وهي تجيب :

– لا.. لا!

إنهم أولاد زوجي، أما أنا يا حسرتي إلى الآن بدون أولاد.

هنا طلبت تسنيم من جنات وعلي الذهاب لغرفة الاستقبال وإلقاء التحية على الضيف فهي لم تكن تريد أن يسمعا حديثهما التالي :

– لا تتحسري يا حبيبتي فأنا أيضًا مثلكِ لم أستطع إنجاب أي طفل منذ زواجي إلى يومنا هذا.

صاحب الضيفة بدهشة :

– ماذا؟! وهؤلاء الثلاثة.. من يكونوا؟!

ابتسمت تسنيم بهدوء وقد عرفت سر الدهشة التي أصابت ضيفتها ثم قالت :

– إنهم أولاد زوجي من زوجته الراحلة رحمها الله تعالى.

تمتمت الضيفة مع نفسها : إذن كل ما قاله عمار صحيح!

ثم عادت للسؤال :

– يعني إنكِ الزوجة الثانية.. كحالي تمامًا!

هزت تسنيم رأسها بالنفي قائلة :

– لا.. بل أنا الأولى.

شعرت الضيفة بأن رأسها لم يعد يحتمل مزيدًا من المفاجآت، قالت بتوتر :

– ولكن كيف تجرأ وتزوج عليكِ؟!

– أنا شجعته على ذلك، لأني خفت ان يبقى وحيدًا دون ذرية وأولاد ينيرون له حياته..

ثم خفضت رأسها وهي تتمتم : لأنني عاقر.

شعرت الضيفة بالإجلال لتسنيم وقد كبّرت فيها كل تلك التضحية وذلك الإيثار.

(١٨)

قالت وهي تمد يدها لتمسك بيد تسنيم :
– أنتِ رائعة يا أستاذة! والله لو كنت مكانكِ لما سمحت له بالزواج بأخرى إلا بعد أن يطلقني!
ضحكت تسنيم وهي تردد : كل من تعرف بقصتي تقول كما تقولين الآن!
هنا دخلت جنات وهي تحمل طبق الكعك وعلي يسير بعدها ويحمل طبق آخر فيه علبتين عصير بارد، قامت الضيفة تستقبلهم قبل تسنيم وهي تقول :
– لا تقومي أستاذة، الطفلة في يدك!
عادت للجلوس وصارت تفتح علبة العصير وهي تقول :
– ما شاء الله، هل أنتِ فكرتِ بإحضار هذه الأشياء يا حبيبتي؟ أراكِ فطنة جدًا.
أجابت جنات :
– رأيت ماما قد وضعته على المنضدة في المطبخ ولما رأيت إنكما تتكلمان ذهبت وهمست في أذن أبي وسألته إن كان بإمكاني أن أقوم بتوزيعه فقال لي : نعم يمكنك ذلك طبعًا.
سألتها الضيفة بفضول :
– ألم تخافي أن لا ترضى عليكِ زوجة أبيكِ أو قد تصرخ في وجهك؟

– تقصدين ماما تسنيم؟ إنها تحبني جداً ولم تصرخ في وجهي يوماً..
قال علي بغضب :
– ماما تسنيم أمنا فلماذا تقولين بأنها زوجة أبينا؟!
ضحكت تسنيم وسحبته من يده برفق وصارت تشبعه قُبلا وهي تردد :
– حفظكم الله لي يا أحبابي.
تسمرت الضيفة في مكانها وبالكاد بلعت ريقها وهي ترتشف العصير وتقارن بين حب اطفال بهاء لزوجة أبيهم وبين العلاقة السيئة التي نشأت بينها وبين أولاد عمار!!
ولما رأت خروج الصغيرين من الغرفة، همست في أذن تسنيم قائلة :
– هل فعلا تحبينهم يا أستاذة؟ وهل تشعرين بأنهم يحبونكِ حقًا!! ألا تغارين على زوجكِ منهم فقد يكون حبه لهم أكثر من حبه لكِ.. من يدري؟ الله العالم!
تفاجأت تسنيم من كل هذه الأسئلة وابدت حيرتها من الأمر!
قالت أخيراً :
– إنهم قرة عين زوجي.. فلماذا لا أحبهم حقًا؟
– ولكن عندما ترين أولاده حوله وهم ليسوا اولادكِ أنتِ!
– ولماذا أفكر بأنهم ليسوا أولادي؟ فأمهم غير موجودة بقربهم (رحمها الله تعالى) وليس لديهم إلا الله وأنا ووالدهم!
ثم لأضع نفسي مكان أمهم الراحلة فلو كان لدي أولاد وحانت وفاتي ألا أتمنى أن يرزقهم الله بإنسانة تعوضهم حناني وعطفي ومداراتي؟!
كانت الضيفة تستمع وكأن على رأسها الطير!
استمرت تسنيم بالكلام بعد أن عرفت طبيعة المشكلة بين ضيفتها وأولاد زوجها فقررت مساعدتها قدر المستطاع :
أختاه أنتِ أيضًا يقع على عاتقكِ حل مشاكل الأسرة من دون توتر وحساسية فالأولاد أيتام (سواء أنهم فقدوا والدتهم بالموت أو الطلاق) في

كلا الحالتين هم فاقدي الحنان الحقيقي ولقد ارسلكِ الله لهم ليس صدفة ولا اعتباطًا ولا عبثًا!

حاشاه سبحانه أن يفعل شيء من غير حكمة.. فهلا جلستِ مع نفسكِ وسألتِها : ما الحكمة من كوني الآن بين هؤلاء الأيتام؟!

ألا يمكن أن يكون وجودي بينهم إختبارًا إلهيًا ليرى الله مخافتي منه وإيماني وتقواي من خلال تعاملي معهم؟!

هل سأتعامل مع أولاد زوجي كما أتعامل مع أولادي الذين هم من لحمي ودمي؟!

هل أترك المجال للشيطان أن يوسوس بيني وبينهم؟ وهل اترك المجال لأقاربهم ومعارفهم بالتدخل بما يُكبر المشكلة؟ لماذا لا أحل مشاكل عائلتي بحكمتي وعقلي وصبري؟

الأولاد ليسوا سيئين لدرجة الشيطنة والعياذ بالله وأنا لست معصومة من الخطأ لدرجة الملائكة .. كلانا نحتاج إلى الصبر والتأني والحكمة ومراجعة الذات، ولما كنت أنا في منزلة والدتهم فأنا إذن من يبادر إلى تقليل المشاكل وحلّها بسلام ووئام حتى اكسبهم وأكسب قلوبهم فقد ينفعوني في كِبري كما لو كنت أمهم بالفعل.. من يدري؟!

خذي من أم البنين عِبرة فلقد تزوجت بأروع رجل على الأرض في زمانه (قمة الإيمان وقمة الجمال وذو حسبٍ ونسب) وهي في المقابل لم تكن معصومة فلقد كانت امرأة عادية لها مشاعر وعواطف تجعلها تعشق زوجها وتتمنى لو كان لها وحدها هي وأولادها فقط!!

لكنها ما إن دخلت بيت زوجها حتى فكرت بشيء واحد فقط! أن في ذلك البيت أيتام!! وحين يرونها سيذكرون أمهم!!

لقد فكرت بإنسانية أولاد علي قبل أن تفكر بكونهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.. إنهم الآن أيتام!! لذلك يجب أن لا تنكسر قلوبهم

عندما يسمعوا إسم زوجة أبيهم والذي هو نفسه إسم أمهم!! فنراها تطلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يناديها بفاطمة أبدا!!
إنها أرقى درجات الإنسانية..
فكري في هذا أنتِ أيضًا وحاولي أن لا تكسري قلب اليتيم واجعلي من أم البنين قدوة وسند.
عادت تلك الزوجة إلى بيتها وقد قررت أن تبدأ حياة جديدة مع زوجها وأولاده الأيتام.
بعد عام كامل من وفاة مريم جاء الخبر السعيد الذي كانت تتمناه تسنيم منذ سنواتٍ طويلة، وكأن مريم دعت لها وهي في أعلى الجنان لما أولته تسنيم من عنايةٍ ورحمةٍ بأولاد مريم..
قالت الطبيبة وهي تعطي ورقة التحليل لتسنيم :
– مستحيل! إنها معجزة والله يا أستاذة.. إنكِ حامل!
فاضت عينا تسنيم بالدموع وهي تردد :
– لا توجد كلمة إسمها (مستحيل) في قاموس القدرة الإلهية..
سحبت الكرسي لتجلس عليه بعد أن شعرت بأن قدميها لا تستطيعا حملها من الفرحة، صارت تتصل ببهاء لتزف إليه هذه البشارة!
بعد تسعة أشهر أطلت (مريم) الصغيرة بالتحديد في ليلة ذكرى ولادة الإمام علي عليه السلام (الثالث عشر من شهر رجب الأصب) وبينما كانت جميع العائلة تحتفل بقدوم تلك الصغيرة الجميلة حتى رنَّ هاتف بهاء..
أغلق الزوج الهاتف بعد انهاءه المكالمة ونظر إلى زوجته التي كانت ترقد على السرير في إحدى غرف مستشفى الولادة، قال بفرحٍ غامر :
– إنه المهندس المشرف على بناء الدار..
سألت تسنيم بسعادة :
– الدار التي سنهديها لأم إيهاب وأولادها الأيتام؟!

– نعم يا غالية.. لقد طلب مني ذلك المهندس الآن أن أذهب إليه لأستلم مفاتيح تلك الدار.

بكت تسنيم من شدة الفرح، قالت لزوجها :

– إنها ليست صدفة أن تأتينا هذه البشارة مع ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليه السلام كافل الأيتام وأبو المساكين! صحيح يا بهاء؟

– نعم وكأن الله يريد أن يُذكرنا بدورنا كموالين لذلك الرجل العظيم!

سألت جنات بدهشة : ولكن أراكِ سعدتِ بخبر الدار حتى أكثر من سعادتكِ بأختي مريم يا ماما؟!

قالت تسنيم وهي تمسح دموعها :

– آه يا جنات.. قد تكونوا أنتم والصغيرة (مريم) سعادتنا أنا ووالدكِ في هذه الدنيا، أما هذه الدار وما سنقوم بهِ من عمل الخير لتلك المرأة ففيه سعادة الدنيا والآخرة معًا .

سأل علي :

– هل لهذه الدرجة ربنا يحب المساكين؟

جمعت تسنيم الأولاد حولها بينما الصغيرة مريم في حضنها وصارت تتكلم لهم عن مكانة الفقراء والمساكين عند الله ورسوله وأهل بيته عليهم سلام الله أجمعين.. ثم صارت تتكلم عن دور صاحب الذكرى إمامنا علي عليه السلام في كفالة الأيتام ومداراة الفقراء إلى آخر لحظات حياته الشريفة.

صار بهاء ينظر إليها وقد دمعت عيناه وهو يتذكر قول الإمام الصادق عليه السلام :

((فأمّا صالحتهن فليس خطرها – قيمتها – الذهب والفضة، هي خير من الذهب والفضة)).

وفي ذكرى الميلاد الأول للصغيرة مريم كانت تسنيم تحتفل مع الأولاد بعد تزيين المنزل بالكامل فقد أكملت مريم عامها الأول وهي الآن تدور خلف أخوانها فرحة مستبشرة..

دخل بهاء المنزل فتفاجأ بالبالونات والشموع والزينة في كل ارجاء منزله، هناك أيضًا الكعكة التي وضعتها زوجته في وسط الغرفة وقد كتبت عليها ابنته جنات بخطها الطفولي الجميل وبالقشطة الملونة عبارة (شكرًا لأنك أبي)

تساءل بهاء :

– ولكن اليوم مولد مريمتي الصغيرة.. فما شأنُ أبيكم في القصة!!

قالت جنات بإبتسامة بريئة :

– ماما قالت لنا أن الليلة ذكرى ولادة الأمير (علي) عليه السلام لذلك فاليوم يجب أن يكون (عيد الأب العالمي).

صار الأولاد يحومون حول والدهم وهم يضحكون ويقفزون ويرددون بصوتٍ واحد : عيد الأب.. عيد الأب.

كانت تسنيم تقف في زاوية من الغرفة ودموعها تعبر عن مشاعرها الصادقة تجاه زوجها وعائلتها الجميلة هذه

هنا تذكر بهاء تلك السنوات القاسية التي كان يعاني فيها من أجل أن يسمع تلك الكلمة من طفلٍ واحد وهو يناديه بـ (بابا).

مسح دموعه وهو يردد :

قد كان حلمًا لا نظن دنوّه..

لكن فضل الله كان عظيما